16 em Année No. 800

Lundi — 1 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٠٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — أول نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فكاهة لهـــا مغزى

لا أدرى ما الذى أخطر ببالى فى هـذه الأيام هذه الواقعة المضحكة وقد مضى على وقوعها ثلاثون سنة دون أن تجرى على لسانى أو تدور بخاطرى ؟ اسمعها أولا ثم حاول بعد ذلك أن تعلل ورودها بما تشاء :

كان بلدتنا الشيخ عبد الجبار خادم المسجد شموس الطبع طائش الحلم، يده أسرع من لسانه، ولسانه أطوع من عقله ؛ ولكنه كان كسائر النَّـزقين أبيض القلب سليم الصدر، لا تبطئ ريحه أن تسكن، ولا تلبث أناته أن تعود. ذهب ذات يوم إلى المنصورة يقبض مرتبه من مأمورية الأوقاف، ويمتار لعياله من سوق المدينة. فلما كان عائداً إلى القرية، فوقه مظلته العتيقة، وتحته جحشته الريِّضة، قابله فى مضيق الطريق حماران يسيران متوازيين وعليهما سماد الزبل والسِّرجين، فاقتحم العقبة من بينهما فصدم خُرجُه الأبجر أحد الحمارين فأزال عن ظهره الغبيط. فاستشاط سائق الحمار وقال للشيخ فى فورة غضبه : لا عجب ولا ملامة، خُرْج فوق خُرج ! ! فوقف عبد الجبار دابته وصعَّر خده وقال المتهكم الغضبان بلهجة المتحدى : ولِمَ لا تقول حمارٌ وراء حمار ؟ ! فأجابه الفلاح وقد تنمر له وهمَّ به : غلطى وتسفَه ! ثم جذبه من ذراعه بقوة فسقط فى حفرة، فبرك فوقه وأعانه شاب آخر وانهالا عليه طحناً بالصدر وعجْناً بالأيدى، والمسكين تحتهما ماق على ظهره، يضرب الهواء برجليه، ويحاول أن يدفع اللكم بيديه ؛ ولكنه كان أشبه بالسلحفاة المقلوبة، تحرك أطرافها ولا تتحرك، وتقلب رأسها ولا تقوم، حتى شاء الله الذى يؤخر النفس إذا لم يجئ أجلها أن يمرَّ به فى هذه اللحظة الشيخ عبد الرحمن، أخوه فى القرآن، وزميله فى الحرفة، وجاره فى الحارة ؛ فلم يكد يراه على هذه الحال حتى ترجّل وانقضّ على الرجلين انقضاض النسر، فأزاح هذا بيمناه وذاك بيسراه، ثم أعمل فيهما يديه جميعاً. ورأى الشيخ عبد الجبار صدره خفيفاً فنهض كأنما نشط من عقال، وأسرع إلى حمارته فوثب عليها، وانطلق دون أن ينفض التراب عن ثوبه، ودون أن يقول للشابين بارك الله فيكم، وللشيخ عبد الرحمن السلام عليكم ... وشفى غليله من الأتان فأنحى عليها سبًّا باللسان وضرْباً بالعصا وطعناً بالمنخاس ولكزاً بالفخذين حتى بلغ الدار وصك رأسُه الجدار.

وفى المساء أقبل الشيخ عبد الرحمن وعلى إهابه وجلبابه آثار المعركة فجمع له الناس وقال : يا شيخ عبد الجبار ! كيف أنصرك وتخذلنى، وأحييك وتقتلنى، وأرفع عنك العبء فتلقيه علىّ، وأنقذك من الرجلين فتتركهما إلىّ ؟ !

فأجابه فى لهجة خليط من الخزى والبلادة والمكابرة : كان بينى وبين فلان وعد فى صلاة العصر. ومَعاذ الله أن أخيس بوعد أو أحنث فى يمين !

فقال له : أمرك يا مولانا عجيب ! تحافظ على وعد وتفرط فى روح، وتنظر إلى مصلحة وتنفضى عن كرامة ! !

من قصص العصر الفاطمي :

خاتمـــة حيـــاة

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

خذ يا نصر ، فليس هذا بكثير عليك .

قال ذلك خليفة مصر الظافر بأمر الله وهو يقدم إلى نصر ابن عباس عشرين طبقاً من الفضة مملوءاً كل واحد منها بعشرين ألف دينار . فأجابه نصر : شكراً يا مولاى ، إننى لم أزد على أن أرحتكم من وجه كنتم تبغضونه ، وإن سرور مولاى هو كل ما أسمى إليه وأبغيه . قال الخليفة : ذلك قليل يا نصر ، لقد قضيت أكثر من أربع سنين وأنا أحمل هذا الوزير شجى فى حلق ، وقذى فى عينى ، ومن الغريب أنه كان يسمى نفسه الملك العادل ، وأى ظلم أكبر من سلب حق واغتصاب سلطانى ! هـذا أول يوم أشعر فيه بمجد الملك وعظمة الخلافة ، وستكون تلك الليلة تذكاراً لهذا العهد الجديد السعيد .

وما إن أقبل الليل حتى كان قصر الخلافة جوهرة غارقة فى النور ، وجاء الندماء يمنون النفس بليلة سارة وساعات شهية ، ولم تلبث جنبات القصر أن تجاوبت بأصداء الغناء ، ودارت الساقيات الجميلات ببنت الكروم تلعب بالرءوس وتفعل ما تشاء بالألباب ، ولما انقضى من الليل أكثره تفرق الجمع ، ولكن الخليفة لم يرد أن تنقضى تلك الليلة من غير إنعام جديد على قاتل وزيره ابن السلار ، فوهب نصراً مدينة قليوب ، وأوصاه أن يبكر فى الحضور إليه ، فإنه ما كان يصبر على البعد عنه .

خرج نصر فرحاً بما أعطى ، ولما قابل أباه عباساً (وقد صار وزيراً) أخبره بأمر هذه الهبة ، فما زاد أسامة بن منقذ أحد جلساء الوزير على أن قال : « ما هى فى مهرك بكثير يا نصر » .

وهنا اربد وجه الفتى ، وغلى الدم فى عروقه ، وأقبل يدافع عن نفسه فى حماسة وقوة ، حتى قال له والده : « نحن لا نصدق يا بنى ما يقال ، ولكن الناس يلوكون عرضك وعرض الأمير ، فبالله إلا غسلت هذا العرض . إن جمال الوجه كثيراً ما يجلب على صاحبه الأقاويل ، ولقد خجلت لكثرة ما سمعت عنك وعن مولاك » . فخرج نصر وقد صمم على أمر .

لم يبد على صلة الصديقين فتور ، بل اطردت كما هى : يقضى نصر معظم وقته مع الخليفة ، حتى إذا كان يوم اشتد فيه إقبال الظافر على نصر ، قال له نصر : « لقد نلت منك يا مولاى كل أنواع التكريم ؛ فهل يضيف سيدى إلى نعمه تشريفه إياى فى وليمة خاصة بنا فى منزلى الليلة ، وسوف أفاجئ مولاى بما يلذ له من جيد الغناء ، وعتيق الخمر ، وأجمل النساء » . ولم يكد نصر يسمع من الخليفة ترحيبه بالدعوة وقبولها قائلا له : « ذلك هو العيش يا نصر » ، حتى خرج يعد للأمر عدته .

وفى الليـل الساجى ، والظلام الذى لا تتبين فيه شخوص السائرين ، خرج الخليفة الشاب من قصره مستخفياً ، لا يصحبه غير خادمين ، ولا يكاد يتميز عمن حوله من النـاس ، حتى إذا دخل منزل مضيفه ، واستقر به مجلسه ، انقض عليه وعلى أحد خادميه من أعدهم نصر للانقضاض ، وبعد بضع دقائق كانت جثة الخليفة ملقاة فى بئر هناك ، ومضى نصر يخبر والده بما فعل !

تنفس الصبح فشاهد الناس فى البكور الوزير عباساً ميمماً قصر الخلافة يتبعه ألف جندى شاهرون سلاحهم ، ودخل القصر ، وطال جلوسه ، فاستدعى زمام القصر ، وقال له : « إن كان لمولانا ما يشغله عنا فى هذا اليوم عدنا إليه فى الغد » ؛ فمضى الزمام وهو حائر يبحث عن الخليفة فى كل مكان ، ثم عاد يقول لعباس : « خرج الخليفة البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد ! فقال عباس : « تكذب يا عبد السوء ! لقد دبر أخواه قتله حسداً له على الخلافة ، واتفقتم على هذا القول » ؛ فقال الزمام : « معاذ الله ! » ؛ قال عباس : « فأين هما ؟ » ؛ فخرجا إليه ، فسألهما عن أخيهما ، فأنكرا معرفة مكانه ، فأمر غلمانه بقتلهما ، فقتلا بين يديه ! !

وفى ليلة حزينة ثقل الهم فيها على عباس وابنه ، فقد آذاهما أن يشتركا فى قتل ابن مصال وزير الظافر الأول ، وقتل ابن السلار

فقال له الشيخ عبد الجبار وقد غلى دمه وهو لا يغلى إلا فى السلم : سبحان الله يا أخى ! لماذا تتجهمنى هذا التجهم ، وتعنفنى هذا التعنيف ؟ من قال لك انزل ؟ هل كنت مغلوباً فانتصرت لى ، و مكروباً ففرجت عنى ، أو ضعيفاً فأشفقت علىّ ؟ وهَبِ الأمر كان كذلك ، فهل بعد خُرجى مأرب ، أو بعد حمارى مركب ، و بعد روحى حياة ؟ !

أحمد حسن الزيات

وزيره الثانى ، وأن يقتلا الخليفة وأخويه ، ثم يبحثا حولها فيجدا السلطة التى جدا فى الحصول عليها تكاد تفلت منهما وتمضى ، فأقبل أحدهما على صاحبه ودار بينهما حديث :

— أرأيت يا نصر : إن الأمر لم يصف لنا كما كنا نؤمل ، وإن الجمهور لم يجز عليه ما أحكمناه من حيلة وتدبير !

— الذنب فى ذلك ذنب رجالى يا أبى ، فإن خادم الظافر الذى أفلت من يدهم هو الذى أذاع سر الجريمة ، وكشف ما كنا نحرص على ستره .

— وهذا الشعب الذى ألفنا منه الطاعة أصبح ثائراً متمرداً يسمعنا أنى سرنا أوجع الكلم وأحط أنواع السباب ، ينادى بالثأر ، ويهتف بالانتقام .

— ليت الأمر يا أبى وقف عند الهتاف والكلام ، فإن الفتنة قائمة ، والأنصار الذين كنا نعتمد عليهم قد انفضوا من حولنا ، وأصبحت لا أرى إلا وجوهاً عابسة ، ونفوساً متبرمة ، وجواً ينذر بعاصفة .

— لقد كنت يا بنى سائراً بالأمس فرأيت هاوناً ألقى على ، ولولا حظى الحسن لحطم رأسى . وأول أمس ألقى على ماء يغلى كاد يحرقنى لولا فضل الله !

— وهل جاءك نبأ طلائع بن رزيك ، لقد بعث إليه الأمراء يستنجدون به ليأخذ بثأر من قتلناه . أما أخوات الظافر فقد بعثن إليه بشعورهن فى كتب سوداء ، وأطلعنى جاسوس لا يزال مخلصاً لنا على قصيدة طويلة أرسلها إليه القاضى الجليس يحثه فيها على الانتقام ، ولا إخال طلائع إلا منتهزاً تلك الفرصة النادرة ، وقادماً إلى القاهرة ليجلس على كرسى الوزارة الذى ينتظره ، ويثأر منا إن ظفر بنا .

وهل ننتظر حتى يظفر بنا ؟ لا بد من الهرب يا بنى !

— وإلى أين يا أبى ؟

— إلى الشام عند نور الدين محمود ، وسنطلعه على ما وصلت إليه مصر من الضعف والانحلال ، ونزين له فتحها ، ونكون له عمالا عليها ، وسوف يمهد لنا الطريق إليه الأمير أسامة بن منقذ رفيقنا فى رحلتنا .

* * *

حث الرسل الخطا إلى طلائع فاستشار من حوله من رجاله ، وأجمعوا أمرهم بينهم على الزحف السريع إلى القاهرة ، وانضم إليهم قبائل كثيرة من العرب والسودان ، حتى إذا دنوا من القاهرة لبسوا جميعاً ملابس سوداء ورفعوا رايات سوداء ، ونشروا شعور السيدات على أطراف الرماح ، وخرج أهل المدينة لاستقبال الجيش الزاحف هاتفين بالثأر من القاتلين .

لم ينتظر نصر ووالده ومن معه حتى يدهمهم عدوهم فى عقر دارهم ، بل جمعوا ما بقى لهم من رجال ، وحملوا كل ما يملكونه من متاع ومال ، ولما جن الليل فروا من القاهرة مهطعين ، غير أن عيون أخوات الظافر سرعان ما نقلوا خبر فرارهم إليهن ، ففكرن فى الأمر ملياً : هل يتركن الأسير يفلت ؟ وهل يدعن الانتقام ممن حرمهن الأخ الصغير والأخوين الكبيرين ، وأهان عرش الآباء والأجداد ؟ أو يكتفين بأن يذهب العدو ويدعهن أحراراً فى بلادهن ؟ وهل يأمن جانب هذه الأفعى وهو رأس المؤامرات وأساس الفتن والدسائس ؟ إنهن لا يأمن جانبه ولا يعرفن قصده ولا نواياه . ومن يدرى ما ذا تكون النتيجة إذا ترك حياً ، فربما كان فى بقائه خطر جديد يهدد الأسرة والعرش .

والآن ، لا بد من التفكير السريع قبل أن يطير العصفور من القفص ، وتفلت الفرصة من اليد . سيهرب نصر ووالده إلى الشام ، وسيمران بأرض الصليبيين فى طريقهما ، وإذا كان الصليبيون أعداء مصر فلا بأس من الاستعانة بهم فى القبض على القاتل الفار ؛ ولما كان الأمر يتطلب سرعة فى التنفيذ ، أرسلن رسولا يثقن فيه كل الثقة ، وطلبن منه أن يسابق الريح حتى يصل إلى هدفه قبل أن يفر نصر .

وجد القائد الصليبى لقلعة عسقلان فيما عرض عليه الرسول المصرى ما يغريه بمقابلة نصر وأبيه ، فالقائد مطمئن إلى النجاح والظفر بما مع الفارين غنيمة باردة وبما وعدت بتقديمه أخوات الظافر من المال ، فأصدر أمره إلى الجند بالتأهب لمقابلة الفارين .

وبينما كان نصر وعباس يمنيان النفس بكبار الآمال أبصرا جند الصليبيين يحيطون بجمعهما ، فلم يجدا بداً من الدفاع عن أنفسهما فى معركة خاسرة ، مات فيها عباس وابن له صغير ، بينما حرص الجند على أن يظفروا بنصر حياً ليثابوا — كما وعدوا — بأجزل الصلات ، فلما سقط فى أيديهم وضعوه فى قفص من جديد .

الركب سائر إلى القاهرة ، وفؤاد نصر قد ملئ بما شغله من

المصحف المبوب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء ، وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع هذا العصر أثراً فى مصحفنا ، لأنه يحوى بين دفتيه أعز شىء عندنا ، وهو القرآن الكريم الذى نسعد به فى دنيانا وأخرانا ، فلا يزال هذا المصحف يظهر بيننا فى شكله القديم ، لا شىء فيه إلا ما فى هامشه من بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وليس فى هذا أثر للاخراج العلمى الذى يبذل فى عصرنا عند إخراج الكتب البشرية ، إذ تلحق بها أشياء كثيرة ترغب فى الاطلاع عليها ، وتساعد على الاستفادة منها .

ولا شك أن جمودنا بإزاء ما يلزم لمصحفنا فى عصرنا يخالف كل المخالفة حال سلفنا الصالح بإزاء هـذا المصحف ، فقد كان القرآن الكريم مفرقاً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى العسُب والأُلخاف وصدور الرجال ، وقد مات وهو على هذه الحال ، فلما كانت وقعة اليمامة فى خلافة أبى بكر أتاه عمر فقال له : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال له أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك ، وأحضر زيد بن ثابت فقال له : إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن ، أجمعه . فتتبعه زيد يجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى جمعه فى صحف مكتوبة ، ثم أخذها فأعطاها أبا بكر ، وقد ائتمروا ما يسمون ذلك ؟ فقال بعضهم : سموه السِّفر . فرُدَّ عليه بأن هـذا تسمية اليهود ، فكرهوه ، وقال بعضهم : رأيت مثله بالحبشة يسمى « المصحف » فاجتمع رأيهم على أن يسموه « المصحف » ، وكان هـذا أول تجديد فى ترتيب المصحف وتسميته .

ثم اختلف الناس فى قراءة القرآن على عهد عثمان ، حتى اقتتل

الهم ، فظل قابعاً فى قفصه يفكر فى ماضيه ، ويتخيل الوزير ابن السلار زوج جدته وهو ينقض عليه من غير ذنب جناه ، والخليفة الظافر وقد انساب إليه الرجال يقتلونه على مرأى منه وفى داره ، وهاهوذا يفقد أباه وأخاه ويقاد إلى مصير لاشك فى شدته وقسوته .

لقد جاءت رسل من القاهرة تتعجل قدومه فأنبأته بأن جثة الخليفة أُخرجت من بئر فى بيته ، وأن طلائع بن رزيك وضعها فى تابوت سار خلفه حافياً حاسر الرأس ، وتبعه الأمراء والقادة والشعب حفاة حاسرى الرءوس ، وأن الجميع فى انتظار نصر على أحر من الجمر .

كل ذلك وأسير القفص لا ينبس ببنت شفة طول الطريق ، حتى إذا أشرف على القاهرة وبدت لعينيه أبوابها الضخمة ومآذنها العالية تنهد وقال :

بلى ، نحن كنا أهلها ، فأبادنا · صروف الليالى والجدود العواثر

ومرت برأسه ذكريات مجده القريب ، وذكر المواكب التى كان يختال فيها على جواده ، تعقد عليه الآمال ، وتستعظمه العيون والنفوس ، أما اليوم ، فها هو ذا يدخل القاهرة مقيداً مغلولا ، وما إن لمحه الجمهور حتى هاجت المدينة وماجت كل يريد أن يراه فى قفصه الحديد ، ولم يدع الشعب إهانة ولا سخرية لم يلحقها بنصر ووالد نصر . أما أخوات الظافر ، فما كدن يسمعن بقدومه حتى أرسلن يستعجلن حضوره ، وقد سمح لهن طلائع أن يفعلن به ما يشفى غليلهن ، وكم حزن عند ما علمن أن الموت حال بينهن وبين الانتقام من عباس !

لم تستقبل أخوات الظافر نصراً إلا بالأخفاف والقباقيب ، حتى إذا تعبن من ضربه وأدمين وجهه وجسمه ورأسه ، أرسلن إلى أحد الأطباء ، فصلم أذنيه ، وجدع أنفه ، وأخذت هـذه الأشلاء فطهيت ، وأجبر نصر على أكلها ، ثم وضع فى قفصه الحديدى ، وطيف به فى القاهرة لم يترك شارع ولا حارة ولا درب إلا شهد الأصلم الأجدع واشترك فى إهانته والسخرية منه ، فإذا تم طوافه بالقاهرة أخذ حياً وعلق على باب زويلة ، وظل هناك عدة أشهر حتى مل الناس رؤيته ، فأنزل وأحرقت جثته وذريت فى الهواء .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول

الغلمان والمعلمون بالمدينة ، وكانوا قد قرأوه بلغاتهم على اتساعها ، فبلغ ذلك عثمان فجمعهم وقال لهم : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً . يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً . فجمعوا اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر فأتوا بها ، وكانت محفوظة فى بيت عمر عند ابنته حفصة ، فأعادوا كتابتها على لغة قريش وحدها ، لأن القرآن نزل أولا بلغتهم ، ثم وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فلما حصل ذلك الخلاف رؤى أن الحاجة إلى تلك التوسعة قد زالت فاقتصر فى كتابته على لغة واحدة ، وكان هذا ثانى تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم فسد اللسان العربى باختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوح الإسلامية ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن ، لأنهم كانوا يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا ، اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ ، فلما ظهر ذلك الفساد أشفق المسلمون على تحريف ألفاظ القرآن ، فوضع أبو الأسود الدؤلى من التابعين علامات فى المصحف بصبغ مخالف لما يكتب به ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله ، وجعل علامة الضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين ، وذلك فى عهد معاوية ، وكان ثالث تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعْمَر نقْط الإعجام بنفس المداد الذى كان المصحف يكتب به لتتميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وكانا تلميذين لأبى الأسود الدؤلى ، وقد فعلا هذا بأمر الحجاج بن يوسف ، وفى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان هذا رابع تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم اخترع الخليل بن أحمد الشكل المستعمل الآن ، لأن نقط الإعجام كانت تشتبه أحياناً بنقط الشكل ، وإن كانتا تكتبان بصبغين مختلفين ، وكان من الصعب وضياع الزمن كتابتهما بمدادين ، فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف ، وجعل الفتحة ألفاً صغيرة ، وجعل الكسرة ياء صغيرة ، وجعل الشدة رأس شين ، وجعل السكون رأس خاء ، وجعل همزة القطع رأس عين ، وقد أتى بعد الخليل من اختزل فى هذا الشكل وزاد عليه حتى صار إلى حاله المعروف الآن ، وكان هذا خامس تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وقفت كتابة المصحف عند هذا الحد ، إلا ما حصل من كتابتهم بهامشه بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وهو عمل قليل النفع ، ضعيف الفائدة ، لايدعو إليه إلا ما اعتدناه من العناية فى القرآن بالحفظ دون الفهم ، فقسمناه إلى تلك الأجزاء والأحزاب والأرباع ، لتكون لنا منها أوراد نتلوها للتبرك ، لا للعظة والاعتبار ، لأنه لا يوجد فى ذلك التقسيم ما يلفت إلى الفهم فى القراءة ، ولا تمكن عظة بقراءة من غير فهم .

فيجب أن نعدل عن ذلك التقسيم الذى لا فائدة فيه إلى تبويب السور بهامش المصحف تبويباً يعتمد فيه على الغرض المقصود من كل سورة ، فيقسم إلى أقسام مرتبة متميزة ، تلفت القارئ إلى ما ينطوى تحتها من المعانى ، وتوجهه فى قراءته إلى ما تشير إليه من المقاصد ، لتكون قراءة نافعة مفيدة ، مؤدية إلى ما أنزل القرآن لأجله ، وهو الهداية .

وسيكون هذا تجديداً عظيما فى ترتيب المصحف وكتابته ، تظهر به سوره متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، فلا يظن ظان أنه ينقصها شيء من اتساق معانيها وانتظام مبانيها ، وقد وقع فى هذا الظن الآثم بعض المستشرقين ، لأنه لم يجد أمامه مثل هذا المصحف الذى تُبوِّب سوره بهامشه ذلك التبويب ، وتقسم فيه إلى تلك الأقسام المرتبة المتميزة ، ولو أنه وجده لما وقع فى ذلك الظن ، ولعرف أن سور القرآن متسقة المعانى منتظمة المبانى على خلاف ما ظن ، ولقد مهدت لهذا المصحف بكتابى (النظم الفنى فى القرآن) ، وسيظهر قريباً هذا الكتاب ، ولعلنا نرى قريباً بعده هذا المصحف المبوب .

عبد المتعال الصعيدى

طرائف من العصر المملوكي:

الزجـــل والزجالون

للأستاذ محمود رزق ســليم

أطلق الزجل على الشعر العامي الذي اختلفت قوافيه، وتنوعت أوزانه في القصيدة الواحدة، وأهملت حركات إعرابه، وروعيت فيه العامية بضروب بيانها ومسالك حديثها، وما يفشيها من لحن وتحريف وقلب ودخيل، وأمثال سوقية، إلى غير ذلك

وقد كانت الموشحات الفصيحة بما أتيح لها من حرية في الوزن والقافية، مرحلة انتقال بين الشعر الفصيح والعامي: غير أن السبب الأصيل الذي هيأ السبيل لظهور الشعر العامي هو فساد ألسنة العوام وانحرافها في تخاطبها من الفصيحة إلى العامية.

والشعر العامي له أهميته وخطره، وبخاصة بعد أن سلخ من عمره سنين، ونضج في مختلف العصور نضجاً ملحوظاً. فإذا جازلنا أن نقول إن الشعر الفصيح يمثل الأمة خير تمثيل، فإنه يمثل خاصتها تمثيلا أدق. أما العامة، ولا سيما بعد فساد لسانها وتأبيه على الفصيحة، فإن الشعر العامي أصبح يمثلها إلى حد بعيد. إذ هو منظوم بلغتها، محكي بأساليبها في تأدية معانيها، محتو على كثير من تصوراتها وأخيلتها وطرق تفكيرها ومظاهر شعورها. فهو لذلك بحاجة إلى العناية بنتاجه ودراسة هذا النتاج. واعتقادنا أن هذه العناية تفيد الفصحى ولا تضرها، فضلا عما تضفيه على التاريخ والأدب من معونة، تلقي — على الأقل — ضوءاً على مدى تحول العامية بين عصر وعصر.

والقصيدة الزجلية تسمى «حملا» تشبيها لها بحمل الدابة، لانقسام شطورها — غالباً — إلى قسمين. وينقسم الحمل إلى عدة مقطوعات تحتوي كل مقطوعة منها على عدة أبيات، وتسمى المقطوعة «دوراً» أما المقطوعة الافتتاحية فتتألف عادة من بيتين، وتسمى «مذهباً»، ويلتزم شيء من قوافيها — غالباً — في الأبيات الأخيرة من كل دور. وعرفت القصيدة الزجلية أيضاً في مصر باسم «البليقة» وجمعها «بلاليق». وربما كانت تطلق على الموشحات القصيرة.

وتعددت أوزان الزجل وتنوعت قوافيه، حتى قيل في بلاد الأندلس: «إن من لا يعرف ألف وزن ليس بزجال». وقد ذاعت منه أنواع، عرفت في مصر الشام وغيرهما. ومنها: الدوبيت، والقومة، وكان وكان، والمواليا. وتعتبر هذه الفنون الثلاثة الأخيرة — عند البعض — مستقلة عن الزجل. ومهما يكن من شيء، فإنها جميعاً تجمعها صفة العامية، ومغايرة الشعر الفصيح.

وقد برز الزجـل — على ما رواه ابن خلدون — في بلاد الأندلس أولا، على عهد الأمويين ملوك قرطبة، وذلك بعد فساد الألسنة وظهور الموشحات، والتحلل من قيود الوزن والقافية. ونفقت سوقه في دول البربر لمكان أمرائها من العجمة، وقرب فهمهم للعامية. واشتهر في إحدى دولهم وهي دولة الملثمين، إمام الزجالين «أبو بكر بن قزمان».

وقد سرت عدوى الزجـل من المغرب إلى بلاد المشرق، ومنها مصر، فلق بها رواجاً عظيماً، فتعددت أنواعه وأغراضه. وذاع بخاصة في العصر المملوكي وأقبل السلاطين والأمراء والناس على سماعه أو إنشاده؛ وذلك للعجمة أو الاستعجام واستبداد العامية بالألسنة وضعف الثقافة الأدبية بعامة. وبذلك عبد السبيل أمام أهل الزجل، فنشطوا نشاطاً ملحوظاً، واحتفلوا بفنهم، وشاركوا الشعراء في كل ميـدان تقريباً، وزاحموهم في أخص أغراضهم الشعرية بل شأوهم في بعضها، وأربوا عليهم، وسجلوا من الحوادث وأبدوا من الشعور ما لم يبده أو يسجله شاعر.

طرق الزجالون إذاً أبواباً شعرية عدة، فنظموا الغزل البديع والخمريات الصافية، والنقد المر اللاذع، ووصفوا مناظر الطبيعة وسجلوا الحوادث العامة، والحروب الناشبة، وحموا ورثوا، ووقفوا على أعقاب المدن الزائلة، والأحياء الدارسة، والدول الذاهبـة، فدونوا أحداثها وذرفوا الدموع على أحداثها، واستخرجوا درر الحكمة من ثناياها، هذا إلى مجون صريح، وتفكه مليح. إلى غير ذلك.

لا بدع حينئذ أن يحتفي النـاس بهم ويحتفلوا بنظمهم، وأن تتقدم منازلهم عند الرؤساء والعامة. وللعامة إقبال على كل

ما يمس مشاعرها ، ويترجم عن خواطرها ، من الأغانى والأناشيد ونحوها .

وقد رُوى أن النيل فى عام ٩٢٢هـ بلغ حد الوفاء فى فيضانه، قبل شهر مسرى ، على غير عادته منذ زمن طويل ، فكان هذا مثار الاستبشار ، ومبعث الابتهاج والفرح ، فنظم بعضهم أغنية بهذه المناسبة مطلعها :

يا حبيب اهنا وطيب النيـل أوفى فى أبيب
وقد بقينا فى هنا يا فرحنـا

وعكس ذلك وقع فى عام ٧٠٩هـ ، فقد شح النيل وتمنع عن الوفاء . وكان السلطان الناصر بن قلاوون — وكان به عرج — قد عزل نفسه من السلطنة ، فوثب إليها الأمير « ركن الدين بيبرس الجاشنكير » وكانت العامة تلقبه « بالركين » وكان نائب سلطنته هو الأمير سلار ، وأصله من التتار ، وكان أجرد تنفشى فاه بعض شعرات . فشاع بين العامة زجل تفكهوا به عليهما ، وضمنوه عواطفهم نحوهما ونحو سلطانهم المعزول ، قالوا :

سلطاننـا ركين ونائبـو دقين
يجينا الماء منين
هاتوا لنا الأعرج يجى الماء يدحرج

وقد غشيت الزجليات لوثات البديع ، ولحقت بها علاقاته ، مابين توريات لطيفة وتلميحات طريفة ، إلى تضمين وجناس وطباق ونحو ذلك . ونحن هنا نأسف أشد الأسف لعدم معرفتنا الفنية برسم الأزجال المأثورة ، وعدم علمنا بلهجات نطقها ، وهذا من شأنه أن يضع صعوبات جمة فى سبيل فهمنا الحق لكافة معانى الزجلية ، وإدراكنا التام لجميع صورها . وكأنى بابن حجة قد شعر سلفاً بهذه الصعوبات فنوه بها فقال « الزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى ، لجولانه فى ميادين الأغصان والخرجات ، وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة إلا من عرف اصطلاحه . وقد روى زجلا فريداً لعلى بن مقاتل ، يتغزل فى شاب مليح خياط . ومطلعه « نهوى خياط سبحان تبارك من الجمال جلوا » ثم قال معقباً بعد روايته « كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هـذا الزجل ، فأنكره ، لبعده عن رسم الألفاظ المعربة الخالية من اللحن ، ويعذر فى ذلك لأنه ليس له إلمام بمصطلح رسمه . ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم ، فإنه يؤديه إلى خطأ وزنه وإعراب لحنه . ومصنفه أبو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير . قال فى خطبته : وقد جردته من الإعراب ، تجريد السيف من القراب . ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانيه » .

هذا وقد أورد ابن خلدون فى أحد فصول مقدمته نماذج من الزجل ، كثير منها من نظم زجالى مصر والشام فى العصر المملوكى ولم ينسبه لقائله . ويفهم من حديثه أن الزجال كان يقال له « شاعر » ونقول إنه كان يطلق عليه « القيم » أيضاً . وبهذه المناسبة نذكر أن بعض كبار الشعراء فى العصر المملوكى مثل محيى الدين بن عبد الظاهر ، وابن الوردى ، وابن حجة الحموى ، نظموا أزجالا . وكذلك قرض كثير من الزجالين الشعر . ومما رواه ابن خلدون قول بعضهم فى الشكوى الغزلية وهو من المواليا :

يا من وصالو لأطفال المحبة ع كم توجع القلب بالهجران أوه أح
أودعت قلبى حوحو والتصبر ح
كل الورى كخ فى عينى وشخصك دح

هذا ، ونذكر أن ابن إياس الحنفى المؤرخ الكبير صاحب كتاب « بدائع الزهور » سجل لنفسه فى كتابه أزجالا عدة ، كل منها بمناسبته . ومنها ما نظمه يصف فيه جور السلطان الغورى حينما أرغم القاضى شهاب الدين أحمد بن يوسف ، على أن يعطيه قطع الرخام الثمين التى تزدان بها قاعة أبيه المسماة « نصف الدنيا » ليجمل بها قاعته اليسرية . فقال ابن إياس موريا :

سلطاننا الغورى قد جار والصبر منا قد أعيا
وصار فى ذا الجور عمال حتى خرب نصف الدنيا

ولزين الدين العجمى مواليا يصف فيها ارتياعه وقت البين ، رواه ابن حجة فى كتابه « كشف اللثام » . قال :

شدوا الحامل فصرت ساعة التحميل
ملهوف لا حمـل يمنينى ولا تحميل
والعين قـد حلفت يا بدر فى التكيل
لا تكتحل بالكرى إن غبت عنها ميل

وترجم السخاوى فى الضوء لمجذوب يدعى « أحمد حطيبة » توفى بدمياط عام ٨٠٨هـ ، ويبدو أنه كان أديباً عاشقاً ، وقد جن

غيرة . ومن زجله في المعنى :

سرى فضحته وأنتم سركم قد صنت

فقصدي رضا كم وأنتم تطلبون المنت

ذليت من بعد عزى في هوا كم هنت

يا ليت في الخلق لا كنتم ولا أنا كنت

ومن الشعراء الزجالين : صدر الدين بن المرحل ، وهو محمد ابن عمر ، ويعرف في الشام بابن الوكيل . عاش بين سنتي ٦٦٥ هـ ، ٧١٦ هـ ، وقد توفي في القاهرة . كان من فقهاء الشافعية ذكياً عجيب الحافظة مجادلا كثير الاطلاع ، شارك في علوم كثيرة ، واشتغل بالتدريس في قبة الشافعي والمشهد الحسيني وغيرهما . ونظم الشعر الرقيق والموشحات الرائعة والأزجال العامرة . واعتبره ابن إياس شاعر عصره ، وعده من الفحول . وطرق أغراضاً شعرية كثيرة . وقد ترجم له السبكي في طبقاته ، وابن شاكر في فواته ، وابن حجر في الدار ، ولم يرووا شيئاً من زجلياته ، على الرغم من شهرته ، على الرغم من شهرته بالزجل والبلاليق ، فاليك شيئاً من شعره ، قال من خمرية :

لتذهبوا في ملامي إنهم ذهبوا	في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تنفقه	وجه جميل وراح في الدجى لهب
لا تأسفن على مال تمزقه	أيدي سقاة الطلا والخرد العرب

وتغزل في مليح فقال :

تلك المعاطف أم غصون البان	لعبت ذوائبها على الكثبان
وتضرجت تلك الخدود فوردها	قد شق قلب شقائق النعمان
مايفعل الموت المبرح في الورى	ما تفعل الأحداق في الأبدان

ويبدو أن صفي الدين الحلي تأثر بألفاظ هذه الأبيات ، في قصيدته البارعة التي مطلعها :

خلع الربيع على غصون البان حللا فواضلها على الكثبان

ومن أشهر زجالي العصر المملوكي قيم الزجل الكبير « خلف الغباري » الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، وتوفي في أوائل التاسع في عهد السلطنة الثانية للناصر فرج ابن برقوق . وكان حاذقاً في صناعة الزجل ، أدخل إليها خصوصيات الشعر وسماته في التصوير والتعبير ، وولج بها أبوابه وفنونه ، فتغزل ووصف ومدح وهنأ ورثى وسجل الحوادث ، إلى غير ذلك . وحسنت صلته ببني قلاوون وبخاصة الأشرف شعبان ، ثم بالظاهر برقوق ، وهو طويل الباع مديد النفس ، تبلغ زجليته أحياناً ثمانين بيتاً أو تزيد .

وفي مطلع غزلية يقول ، وفيه توريات لطيفة :

جار حبيبي فقلت دا الحجاج	حاجبور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور	ويكون الرشيد

وعندما اعتلى الأشرف شعبان حفيد الناصر بن قلاوون سلطنة مصر عام ٧٦٤ هـ هنأه الغباري بقصيدة زجلية منها :

حب قلبي شعبان موفق رشيد	وجمالو أشرق ومالو حدود
وأبوه الحسن وعمه الحسن	وارث الملك من جدود لجدود

* * *

سل لحظك صارم لقتل العدى

وأنت منصور طول المدى والسنين

زعق السعد بين يديك شاويش	فرح القلب بعد ما كان حزين
ونصب لك كرسي على المملكة	وظهر لك نصره بفتحو المبين
والعصايب من حولك اشتالات	خفقت في الركوب عليك بنود
فاحكم احكم في مصرنا سلطان	فجميع الملاح لحسنك جنود

ولما قتل الأشرف المذكور رثاه الغباري رثاء حاراً طويلا بقصيدة لا تبالغ إذا قلنا بليغة . ومن أبياتها قوله في أحد أدوارها :

ضم الأشرف قبر ليت شعري	هو لقنديل نور ضياء جامع
أو صدف فيه خالص الجوهر	أو فلك فيه غاب قمر طالع
أو نقول غاب فيه أسد ضاري	أو حفير جواه حسام قاطع
أو كناس فيه أحسن الغزلان	أو حمى فيه أفرس الفرسان
أو جسد فيه روح من الأرواح	أو سواد مقلة وفيه إنسان

ونلاحظ في زجليات الغباري أن « المذهب » وهو مطلع الزجلية ، ينظمه في موضوعها ، فليس تقديماً ولا غرضاً إضافياً ، وهو عادة يجمع خلاصة وجيزة لتفاصيل القصيدة . وقد هنأ برقوقا مرة ، أيام أن كان أتابكيا أي قائداً للجند ، وقبل اعتلائه السلطنة ، بقصيدة وصف فيها انتصاره على عدوه الأمير « بركة » فسجل بذلك موقعتهما . وذلك عام ٧٨١ هـ . وفي نفس العام اعتدى عرب البحيرة على مدينة دمنهور فسلبوا ونهبوا ، فهب لهم الأمراء والجند من القاهرة وأثخنوا فيهم وأسروا منهم ، فسجل الغباري هذه الحادثة في حمل وصفي بديع ، وفصل دقائقها وخوافيها في نحو ٧٢ بيتاً لا تجد لها ضريباً في بابها بين الشعر

الفصيح ، وأولها :

باسم رب السما ابتدى   فارج الهم والكرب
وبفيد للذى حضر   قصة الترك والعرب

(راجع الزجليتين فى ابن إياس ج ١ ص ٢٤٧ ، ٢٥٢) .

ومن أئمة الزجل علاء الدين على بن مقاتل الحموى الذى أشرنا إليه فيما سبق ، وهو من أدباء القرن الثامن ولد بحماة عام ٦٧٤ هـ ، وعاصر ابن نباتة والصفى الحلى ، وكان يفد على الملك المؤيد صاحب حماة كما كانا يفدان . وأنشد بحضرته وهما بين يديه غزلية فريدة ثلاثية الأدوار أعجبوا بها أيما إعجاب . جانس فى البيت الأخير من كل دور من أدوارها بين ضربه وعروضه فضلا عن الدقائق الأسلوبية والتصويرية التى راعاها . وهذا دأبه فى غزلياته وقد أثبت ابن حجة فى خزانته الغزلية المذكورة . وفى مطلعها يقول :

قلبى يحب تياه   ليس يعشق إلا إياه
فاز من وقف وحياه   يرصد على محياه
بدر السما لو يطبع   من رام وصالو يعطب

* * *

صغير بحير فى أمرو   غزال قهير بسحرو
ليث الهوى ونمرو   فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر وأربع   أردى الأسود وأرعب

واشتهر بفن الزجل فى أخريات العصر ، ومنذ عهد الأشرف قايتباى ، الأديب اللبق البارع « بدر الدين الزيتونى » وهو أبو النجاء محمد بن محمد العوفى . ولد عام ٨٣١ هـ وتوفى عام ٩٢٤ هـ بعد أن شهد عهد الغورى ، وعاصر مصرعه . وقد سجل فى زجلية رحلة السلطان قايتباى إلى الديار الشامية عام ٨٨٢ هـ ، وذلك على نمط فريد مفصل بدقائق الحوادث ومذهبها :

سلطاننا الأشرف خرج فى أربعين
من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدّا يروم الفرات   فاسقى الخيول من ماه وربه حماه

وسجل حادث الطاعون الجارف الذى أصاب البلاد عام ٨٩٧ هـ ورثى فى تسجيله أهل مصر رثاء بليغاً مليئاً بالحكمة . وعلى هذا الغرار رثى قايتباى مشيراً إلى بعض وقائع عصره . وفى عام ٩٢٢ هـ وقعت فاجعة « مرج دابق » المشئومة ، فهزت كيان مصر ، واضطربت بها فقارها ، وفزعت لها من أعماقها . وقد قتل فى هذه الموقعة سلطانها الشهيد الأشرف الغورى ، وانفتح السبيل أمام الغزو العثمانى البغيض . يصور لك بدر الدين الزيتونى هذه الخواطر والمخاطر فى زجلية عصماء تبلغ نحو ١٢٠ بيتا رثى بها دولة الغورى وليس لها ضريب فى الشعر الفصيح . ونلاحظ أن هذا الأديب كان يعنى بذكر اسمه وشىء عن نفسه فى كل زجلية ينظمها .

وعلى نمط منه شب ابنه بدر الدين محمد ، وقد رثى أباه بزجل أغر ، عدد فيه مناقبه ، وذكر محامده .

ومن الزجالين : الشاعر الحسن بن هبة الله الإدفوى ذكره صاحب الطالع السعيد ، وتوفى بقوص عام ٧٢٠ هـ ومنهم شرف الدين بن أسد المصرى ، الخليع الماجن المتوفى عام ٧٣٨ هـ ، وله زجلية ماجنة تفكه فيها بشهر الصيام ونوه به صاحب الفوات . ومنهم ابراهيم الشاعر الأمى ، وله أزجال بارعة ، وتوفى عام ٨٧١ هـ ويضيق المقام دون ذكر أخبارهم وأشعارهم ، فحسبنا ما روينا ؟

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حب المنطـــق

للأستـــاذ ثروت أباظه

بعد أن ظهر مقالى بالرسالة يحمل هذا العنوان ، جمعتنى بالرفاق ندوة جرى فيها حديثهم حوله . قال أحدهم :

— عرضت لنا فى هذا الأسبوع شخصية غريبة لم نر لها مثيلا بين المجتمع ! وقد عرض صديقك آراء عجيبة من الحب وأطلقها فى جرأة تدفعها ثورة الشباب ، وإن حاول هو أن يكسوها وقار الشيوخ .

قلت : لا تنس أنى لم أعلن موافقتى على رأيه .. وأنا عرضته متخففاً من تبعته .

— يزعم صديقك ..

— لا تناقشنى .. فأنا معه على موعد هنا .

وحان الموعد ، وجاء الصديق ، وعرفوه وعرفهم ، واطمأن بنا المجلس ، ولكن لم يكد يطمئن حتى التفت إلى الصديق يكسو وجهه عتب وغيظ وقال :

— ما ذا ؟ أأصبحت تؤثر قلمك على صداقتك ؟ قلبى أفتحه لك وأنا ضنين بما يحوى ، وأنت تعلم ، فلا تعف بك الأمانة عن إظهاره للناس جميعاً . ثم لا تكتفى بذلك ، بل تعرفنى بأصدقائك ، وتخبرهم أنى صاحب ما قرءوه من الآراء ! هل أصبحت الأسرار ...

— هوّن عليك . إن الجالسين أصدقاء قدماء ، لم تواتنى الفرصة لأعرفهم بك . ولكننى عقدة الصداقة بينكم منذ أن عرفتهم ؛ فسرك عندهم فى أمان . أما أننى أعرض قلبك ، فوالله ما قصدت إلى ذلك ، وإنما هى آراء جديدة لم أسمعها ، ولابد لها أن تُسمع ، ولا أحد من القراء يعرفك .

هدأ صديقى بعض الشيء . وكاد أن يجرى الحديث إلى غير ما كانوا آخذين فيه ، لولا أن تشجع أحد الأصدقاء وعاد إليه يقول

— الآن وقد أوضح لك صديقك مكاننا منه ومكانك منا فهل لنا أن نسألك بعض الإيضاح لآرائك . . . قلت إن للعقل عاطفة يتحكم بها فى القلب فهل تعنى أن القلب إذا أحب يذهب إليه العقل قائلا : لا ؟ إن هذه لا تنفعك .. إن تلك التى اخترتها لا تصلح لك ، إنها ليست من طبقتك ، فيطيع القلب ويسلم القياد ، وينحرف عما اندفع إليه وسيبحث عن غيرها ؟ ؟ إذن لا تعترف أنت بما نراه من كوارث الحب ، ثم إن هذا القلب الهادىء المستكين . كيف تجسر فترميه بأنه أحب ؟ ؟ أيحب ويقبل النصيحة ؟ ؟

قال الصديق : إن العاطفة الجياشة القوية التى يزخر بها القلب المحب هى التى تنشأ عن معرفته بالحبيبة ودراسته لها ، فلا يمكن أن أصدق إنساناً وقع فى الحب منذ النظرة الأولى ، لأن الجمال وحده فى هذا النوع من الحب سيكون العماد . ولو كان الأمر كذلك لأحببنا كل الجميلات اللائى يمررن بنا فى الشوارع ، ولتدلهنا فى ممثلات الشاشة . الحب وليد خبرة ومعرفة ودراسة . والخبرة والمعرفة والدراسة أمور يختص بها العقل وحده . والعقل يتدخل أيضاً ليعرف إذا كان صاحبه محبوباً أم لا . وعلى هذا الهدى يتجه القلب .

قال صديق آخر : لعلك محق فيما ذهبت إليه ، ولو أن الواقع لا يؤيدك .

— إن الواقع لا يؤيد هذا لأن الفكرة السائدة عند القوم أن الحب لا يكون إلا من النظرة الأولى . وذلك ما يجرهم إلى هذا الحب . إنهم يعتقدون أنهم أحبوا وهم فى الواقع براء من الحب

— حسن . . ولكن ما مسألة حب المنطق هذه ؟ إن بعدت الحبيبة أحسست بالشوق إليها فى عقلك ؟ وإن خفق خافق فيك عند اللقاء أيكون ذلك الخافق عقلك ؟ كيف يتهيأ للعقل أن يحب ؟

— إننى لم أقل هذا . ويظهر أنك لم تحسن قراءة المقال . بل إننى أرى أنه لا شيء فى الإنسان يحب غير قلبه . ولكن كيف يبدأ هذا الحب ؟ بالقلب وحده ؟ أم أن العقل يتدخل فى هذا الأمر ؟ إننى أرى أن العقل والإرادة يتدخلان ، حتى إذا تم الحب ، فإنهما يبتعدان كل البعد ولا رأى لهما فى الأمر بعد هذا . بل إن المحب إذا أحب يفكر بقلبه .. وبقلبه وحده ، ولهذا يخشى عليه إذا كان لم يحسن الاختيار فى بادىء الأمر . هذا ما أقصد إليه . لعلك فهمت . فإن لم تكن فأنت مثل صديقك هذا لا تريد أن تفهم

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان شيدهما نصير الدين الطوسي في براثن العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام في ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويتفق المؤرخون على أن الطوسي كان قد شيد في مراغة حياة علمية خصبة بالإنتاج وشجع الفلاسفة والحكماء، وكفل لهم أرزاقهم ؛ وكان يتعصب للفيلسوف ابن سينا ويرد عنه هجمات خصومه : قال الصفدي : وشرح الطوسي إشارات ابن سينا ورد في شرحه على الإمام فخر الدين الرازي وما قاله في شرحه القديم وقد قال هذابه جرح ، وما هو بشرح.

وقال عن شرحه أنه ألفه في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً(١) .

وقال المؤرخ الفقيه أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في كتابه شذرات الذهب الجزء الخامس: وفي سنة ٦٧٢ هـ توفي أبو عبد الله نصير الدين محمد بن حسن وكان رأساً في علم الأوائل ذا منزلة من هولاكو . قال العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان) ما لفظه: لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هلاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينهم فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم وجعلهم خاصته وأولياءه ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل (إشارات) إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين . فلم يتم له الأمر . وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام انتهى بلفظه(١) .

(١) الصفدي .

وهذا تحامل غريب سنعرض عليك بعده إعجاب مفكري الغرب وكبار علمائه بالطوسي وما تركته كتبه من انقلاب فكري وأثر بعيد في الحضارة الأوربية الحديثة ؛ وكلة هذا التعصب تريك عقلية أولئك الذين كانوا يقاومون الفلسفة ويضطهدون الفلاسفة ؛ فإذا كان الشيخ ابن سينا إمام الملحدين فعلى الإسلام السلام .

والذي ينقله المؤرخون عن الطوسي أنه كان باراً بالعلماء والفقهاء هذا العزاوي يقول في كتابه ص ٣٧٤ (في سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) وصل السلطان أباقاخان . (ابن هولاكو وخليفته في السلطان) إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر والخواجه نصير الدين الطوسي وعبر دجلة وتصيد ثم عاد إلى بغداد ، فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه .

وأما الخواجه نصير الدين الطوسي فإنه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف أورد أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها(٢) .

وقال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والصفدي في الوافي نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي كان رأساً في علم الأوائل ولاسيما في الإرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه وكان حسن الصورة كريماً

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان لابن القيم وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين .

وأشار إلى منيظاً ، فقد خيل إليه أنني أنا الذي دبرت له كل هذا الهجوم . ولكنه رأى اقتناع الجالسين فارتاح إلى ذلك ، والتفت إلى ساخراً

— وماذا تنتظر ؟ قم إلى ورقك وقلمك . وسجل الحديث قبل أن يندّ منه حرف أو كلمة .

وهأنذا أصدع بأمره . فما عودته إلا الطواعية والامتثال .

ثروت أباظة

حسن العشرة غزير الفضل .

وولاه هولاكو جميع الأوقاف فى سائر بلاده . وكان له فى كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه فى جامكيات (مرتبات) المقيمين بالرصد وما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الإرصاد .

وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم . وكان يبرهم ويقضى أشغالهم ويحمى أوقافهم . وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى .

وقد كان منجما لأبغا (أباقاخان بن هولاكو وقد ولى السلطان بعد أبيه) بعد والده . وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده فى الأموال احتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا فى وقت يأمره به(١) أفلا يكفى هذا شاهداً .

وكان هولاكو شديد الاعتقاد بعلم النجوم فكان هذا مدخلا للطوسى ليستولى على فكره وطبعاً ليس الفضل فى نجاحه فى السيطرة عليه وصواب ما يشير به عليه فى استشارات هولاكو له كأن لعلم التنجيم الخرافى الطافح بالخزعبلات .

وإنما كان الأثر لدهاء الطوسى وبعد نظره وإن ظن هولاكو المغولى جهلا أن إصابة الطوسى للاهداف مرجعه علم التنجيم .

وقد استغل الطوسى هذا النفوذ وتلك الهيمنة على ذلك السفاح فى إغاثة الناس وحمايتهم من شرور هذا الجلاد المغولى الظالم إذ يحدثنا المؤرخون أنه خلص ابن الفوطى من أيدى التتار(٢) ونقل العزاوى أنه عند ما أراد هلاكو الاستيلاء على داخل المدينة ببغداد أمر الخواجه نصير الدين أن يقف عند باب الحلبة ويؤمن الناس للخروج من هذا الباب . فأخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة(٣) .

وقال أيضاً وفى سنة ٦٥١ هـ وصل التتار إلى بلدة تون ثم استولوا على بلدة شهرستان وتوجهوا نحو طوس ففتحوها وتوجهوا إلى دامغان وخربوا (الموت) عاصمة الاسماعيلية . وفى هذه الأثناء لازم الخواجه نصير الدين الطوسى هولاكوخان . وكان فى خدمة علاء الدين محمد بن الحسيني الاسماعيلي فحظى عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغة ثم توجه نحو خورشاه ملك الاسماعيلية للاستيلاء على قلاعه وبلاده .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر والوافى بالوفيات للصفدى .

(٢) و (٣) العراق بين احتلالين لعباس العزاوى .

وكان من محاسن الصدف — كذا قال الخواجه رشيد الدين — مرافقه نصير الدين الطوسى لهلاكو فى هذه الحملة وكان هو السبب فى حقن الدماء وتسليم البلاد لهلاكو لأن الناس كانوا لا يستطيعون الحرب معه فسعى فى مسالمة وأخذ ينصح خورشاه بطاعة هلاكو والانقياد له فقبل خورشاه النصيحة .

وكان يتماهل فى إظهار الطاعة إلى أن حاصروه من جميع الجهات حتى اضطروه إلى التسليم وتم فتح بلاد الملاحدة .

فترى من هنا بداية اتصال الطوسى بهولاكو .

قال ابن الفوطى فى الحوادث الجامعة (ص ٣١٣) ثم أرسل السلطان إلى متولى (قلعة الموت) يعرفه نزول ركن الدين إليه ويأمره بالتسليم فأبى وامتنع فسير إليه الجيوش فأحاطوا به وحاصروه وضيقوا عليه فسأل الأمان فأجيب إليه فسلم القلعة فهدمت .

ولما فتحت قلعة الموت خرج الإمام العلامة نصير الدين محمد الطوسى . وكان فى خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي وحضر بين يدى السلطان فحظى عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغه(١) .

ونقل فى روضات الجنات عن صاحب (صحيفة الصفاء فى ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) أن الطوسى كان من حملة عرش التحقيق فى الفلسفة والرياضى والكلام .

وكان محبوساً فى حصن الديلم بأمر خورشيد شاه القرمطى فلما غلبت الترك عليه وقتلوه وأخذوا حصن الديلم أطلقوا الفيلسوف الإلاهى من الحبس وأكرموه لعلمه بالنجوم وكان فى عداد وزرائهم وقصته مع ابن الحاجب مجعولة لبعد بعيد بين زمانيهما(٢)

والحق أن الطوسى قد خدم الحضارة الإسلامية خدمات جلى كان منها استنقاذه الكتب العربية وحفظها للأجيال وأبقى قبساً من نتاج العلماء المسلمين فى فجر النهضة الإسلامية فجعلها متصلة الحلقات موصولة الأسباب .

ولنذكر ناحية ثانية استنفذت بها كتب ببغداد عند دخول التتار وقتلها وقد لوح إليها ابن الفوطى إذ قال ص ٣٣١ قيل إن عدة القتلى ببغداد(٣) زادت عن ثمانمائة ألف نفس عدا من

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطى .

(٢) روضات الجنات و (صحيفة الصفاء فى ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) . (٣) عندما حاربها المغول .

أتى من الأطفال فى الوحول ومن هلك فى القنى والآبار وسراديب الموتى جوعا وخوفاً ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف . وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء . وكان يسقط على المطعومات فيفسدها . وكان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير .

قال ووضع السيف فى أهل بغداد وما زالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب للناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل .

قال وسلمت دار ابن العلقمى وسلم بها خلق كثير وسلمت دور آخرين كدار صاحب الديوان ودار حاجب الباب ودور النصارى وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيها أحد إلا من كان فى الآبار والقنوات وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد . وكانت القتلى فى الدروب والأسواق كالتلول ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى؛ ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لا يعبر عنها بلسان وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوى إلى السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم (١) .

وفى هذه المجازر الدموية كان موقف الطوسى حرجاً حتى كاد مرة أن يبطش به هولاكو (٢) . وكان يستعمل الحيل ويبتكر الأساليب لتخليص الناس من بطش هولاكو .

قال ابن شاكر فى فوات الوفيات والصفدى فى الوافى بالوفيات دهاء الطوسى ما حكى أنه حصل لهولاكو غضب على علاء الدين الجوينى صاحب الديوان فأمر بقتله فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك فقال النصير هذا الخان أن أمر بأمر لا يمكن رده خصوصاً إذا برز إلى الخارج . فقال له لا بد من الحيلة فى ذلك فتوجه الطوسى إلى هولاكو وبيده عكاز وسبحة ثم اصطرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً وناراً فرآه خاصة هولاكو الذين على باب الخيم ، فلما وصل أخذ يزيد فى البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويضعه فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على هولاكو وأعلموه ، ثم خرجوا إليه فقال لهم الخان أين هو ؟ قالوا جوا (أى داخل الخيم) قال طيب معافى موجود فى صحة ؟ قالوا نعم ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال لهم طيب فى نفسه؟ قالوا نعم ، وكرر ذلك مراراً وقال أريد وجهه بعينى ، فدخلوا فأعلموه ، وكان فى وقت لا يجتمع به أحد فقال على به ؛ فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك ؟ قال اقتضى الطالع فى هذا الوقت أن يكون على الخان أمر فظيع عظيم للغاية فقمت وعملت وبخرت بهذه البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صرف ذلك عن الخان . وينبغى الآن أن يكتب الخان إلى سائر ممالكه بإطلاق من فى الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم ولولم أر وجه الخان ما صدقت ، فأمر فى تلك الساعة هولاكو بما قال ، وانطلق علاء الدين صاحب الديوان فى جملة الناس . قال ابن شاكر وهذا غاية فى الدهاء بلغ مقصده ودفع عن الناس أذاهم (١) . وبعد فإنك واجد الطوسى كان يسير هولاكو إلى العفو عن المسلمين من طريق علم التنجيم وقد استغل إيمانه بخرافات المنجمين وأكاذيبهم — فى بناء مرصد مراغة ومكتبتها العظيمتين اللذين خدما الثقافة الإسلامية خدمات عظمى وتقدما بعلم الفلك والهيئة ، ولنسمع الأستاذ قدرى حافظ طوقان يحدثنا عن الطوسى ومرصد مراغة فى كتابه (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك وهو كتاب يبحث فى أثر العرب فى تقدم الرياضيات والفلك وسير أعلام رياضييهم وكبار فلكييهم) وقد نشرته مجلة (المقتطف) كهدية سنوية لتستمع إلى حديث ابن طوقان عضو الجمعية الملكية الأسيوية بلندن وعضو جمعيات العلوم الرياضية فى إنجلترا وأمريكا وعضو مجلس

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى
(٢) روضات الجنات .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر .

التعليم العالي في فلسطين ومساعد مدير كلية النجاح بنابلس وأستاذ الرياضيات فيها: إن هذا الرجل قد غذى الروح القومية والغرور العربي بشعلة متأججة من وطنيته، فمن يقرأ كتابه يخرج رافعاً رأسه اعتزازاً بآبائنا العظام فإلى مثل هذا الكتاب نحفظ المؤلفين فإنه تأليف به تتألف جيوش الأمة لتندفع في سبيل المجد ومضمار الرقي، هكذا اكتبوا وألفوا يا حملة الأقلام العربية ولا تزجوا الشباب في مساقط الرذيلة ومهاوي الشهوات العمياء برواياتكم المترعة بالخيانات الزوجية النتنة بروائح الفجور والفجور اصغوا إلى ابن فلسطين يتحدث عن الحضارة الإسلامية العربية فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها، وسوف أشفع حديثه بما ترجمته أنا من المصادر الإنجليزية قال: ص ٦٥ عن المراصد وآلاتها وأزياجها:

لا شك أن العرب لم يصلوا بعلم الفلك ما وصلوا إليه إلا بفضل المراصد، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية. وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذي أنشىء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد هو أول مرصد عنه ويقال أن الأمويين ابتنوا مرصداً في دمشق، ولكن الثابت أن المأمون أول من أشار باستعمال الآلات في الرصد وقد ابتنى مرصداً على جبل قيسون في دمشق وفي الشماسية ببغداد وفي مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد في أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية، فلقد ابتنى بنو موسى مرصداً في بغداد على طرف الجسر وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر، وبنى شرف الدولة أيضاً مرصداً في بستان دار المملكة ويقال أن الكوهي رصد فيه الكواكب السبعة. وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عرف باسم المرصد الحاكمي وكذلك أنشأ بنو الأعلم مرصداً عرف باسمهم، ولعل مرصد المراغة الذي بناه نصير الدين الطوسي من أشهر المراصد وأكبرها وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وتفوق المشتغلين فيه واشتهرت أرصاد هذا المرصد بالدقة اعتمد عليها علماء أوربا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم الفلكية: وهناك عدا هذه مراصد أخرى في مختلف الأنحاء كمرصد ابن الشاطر بالشام ومرصد الدينوري بأصبهان ومرصد البيروني ومرصد ألغ بك بسمرقند البتاني بالشام ومراصد غيرها خاصة وعمومية في مصر والأندلس وأصبهان.

وكان للمراصد آلات وهي على أنواع وتختلف بحسب الغرض منها وقد وضع الخازن كتاباً سماه (كتاب الآلات العجيبة) اشتمل على كثير من آلات الرصد غياث الدين جمشيد رسالة فارسية في وصف بعض الآلات وأتى تقي الدين الراصد على ذكر الآلات التي اخترعها هو وقد اعترف الأفرنج بأن العرب أتقنوا صنعة هذه الآلات (كما في تراث الإسلام).

وفي هذه المراصد أجرى المسلمون أرصاداً كثيرة ووضعوا الأزياج (١) القيمة الدقيقة.

ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزاوي وزيج الخوارزمي البتاني وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبي البلخي والأيلخاني وعبد الله المروزي البغدادي والصفاني والشامل (لأبي الوفاء) والزيج الشاهي (للطوسي) وشمس الدين وملكشاهي والمقتبس لأبي العباس أحمد بن يوسف بن الكماد وزيج العلائي وزيج المصطلح في كيفية التعليم والطريق إلى وضع التقويم والزيج الكبير الحاكمي وزيج الهمداني وزيج الآفاق في علم الأوفاق الخ ... وبالجملة فإن للعرب فضلا كبيراً على الفلك لأنهم (أولا) نقلوا الكتب الفلكية عند اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان وصححوا بعض أغلاطها وتوسعوا فيها — وهذا عمل جليل لاسيما إذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا طبعاً ما جعل الأوربيين يأخذون العلم عن العرب فكان العرب بذلك أساتذة العالم.

و (ثانياً) في إضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيداً و (ثالثاً) في جعلهم علم الفلك استقرائياً وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان

و (رابعاً) في تطهير علم الفلك أدران التنجيم وكانت هذه خطة أغلب علماء الفلك المسلمين وفق تعاليم الإسلام.

(بغداد) ضياء الدخيلي

---

(١) الأزياج جمع زيج قال ابن خلدون في مقدمته ومن فروع علم الهيئة علم الأزياج وهو صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا المتعلمين وتسمى الأزياج.

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٣ – اردان حلة الاحسان في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكري الصديقي

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد ســامح الخالدى

انشغال الشيخ بعمارة داره بالقدس وولادة ابنته :

« وكنا لما اشترينا الدار شرعنا في العمارة ، فأشغلنا الأخ بنقل التراب ورفع الحجارة ، لكي تلين منه نفسه الغدارة المكارة . ولما دخل شهر الصيام والقيام الموجب النضارة تأهل المحل السفلي للجلوس فيه ، دون إتمام القصارة .

« وحين ودع وسار بمسار سحبها غزار ، وقد وفدت علينا من الغيوب العزية البُنية الرشيدة السعيدة الفريدة والجوهرة الوحيدة ، التي وقعت لتسميتها الإشارة الشريفة (علما) ، جعلها الله ممن قدرها لديه سما ، وذلك في السادس والعشرين من شوال المبارك ، فتلقاها الفؤاد فرحاً بها لكونها هدية المولى تعالى وتبارك ورأيت كعبها كقصيدة كعب بن زهير لا زالت مظهراً للبر حسنة السير كثيرة الخير .

« وقد حضر لدينا رابع يوم ذي القعدة الحرام الأخ السعيد محمد سعيد البصري ذو الإقدام ، وكان ذلك يوم عقيقة (١) ابنتي ، المذكورة المحروسة ، وكان قدومه من البصرة إلى حلب المأنوسة . ولما وصل كنا مع الإخوان خارج البلد .

الزيارة الخليلية الثانية عن طريق الخليل وعسقلان :

ولما دخلت سنة (١١٤٢ هـ) عزمنا على زيارة الخليل ، ومن هنا يفقد الزيارة المليلية ، وحين دخلت عاشورا اجتمع لدينا من الإخوان أخدان ، وتوجهنا عن طريق (بنى حسن) (٢) لأنه طريق أمين ومسلك وعر بالأمان حسن ، وثبتنا عند الحلاحلة (١) في (معنين) وسرنا صباحاً للمدينة بقلب رهين وعندما أشرفنا على الحرم قرأنا على الإقدام فاتحة الكتاب وتقدمنا إلى المقام وزرنا الأنبياء ، وبدأنا بوالدهم شيخ المرسلين العام (ابرهيم الخليل) وثنينا بولده سيدى اسحق الغيور ، ثم أثنينا مقام سيدى يعقوب الغوث وختمت بسيدى يوسف بدر التمام ، ونزلت في التكية القادرية (٢) عند باب الحرم الشريف ، لنحظى في أغلب الأحيان بالزيارة المنتجة التشريف . وكانت الكروم (٣) على أوائلها لم تتكامل حلاوتها في غلاتها . وبعد ما أقمنا ثلاثة أيام في الجوار نتردد صباحاً ومساء على السادة الأطهار ودعنا ، وقصدنا مسجد اليقين ، وتوجهنا إلى مقام سيدنا لوط . وعندنا في الصباح على مدينة الفلاج وزرنا حماة تلك البطاح وتجدنا (بيت جبريل) (٤) وبتنا فيها ، وسرنا إلى (الفالوجة) وزرنا أحدها النزيل ، وصلينا الجمعة فيها وخطيبنا الأخ المراعي الشيخ عبد الجاعي (٥) وكان وكان مرادنا زيارة عسقلان فأخبرنا بخراب ما حولها من عمران (٦) ، وفي الصباح طرنا بلا جناح وطلبنا دليل في تلك المسالك يمرفنا إلى (السمية) بالدرب السالك ، فانتحى المجذوب الشيخ ديب لذلك ، ولما توسطنا البرية ، مثل هذه قبة سيدنا صالح فقرأت الفاتحة ، وتجارت علينا من بعد خيل أعراب بهم في تلك الصحارى أذية أغراب ، فقلت لن يحمل الإشارة مر على الجادة ولا تخف غارة ، فسقط عن دابته كبيرهم وانتكس وشرد مركوبه ، وبقصده انعكس ، ثم لحقونا (للقسطينة)

(١) عقف الشيء يعقفه عطفه وعرجه . والعقاف داء في قوائم الشاة تعوج منه .

(٢) اسم لقضاء يشمل قرى المالحة ، وبتر ، والولجة ، والرأس الخ الى الجنوب الغربي من القدس ، وفي فلسطين أقضية باسم بنى صعب ، وبنى صهة وبنى مالك الخ بأسماء القبائل التى نزلت البلاد .

(١) هم أهل حلحول قرية إلى يسار السالك إلى الخليل .

(٢) في الأنس الجليل ج ٢ — ٤٢٦ ، ٤٢٧ « إن الزاوية القادرية بظاهر البلد . وفي الخليل زوايا عدة منها زاوية الشيخ المزى ، وزاوية الشيخ عبد الرحمن الأرزروى ، وزاوية البسطامية ، وزاوية السمانية وزاوية الشيخ عمر المجرد ، وزاوية أبي عقافة ، ورباط الطواشى ، وزاوية شبخون ، ورباط مكى ، وزاويه الشيخ رضوان ، وزاوية الشيخ خضر ، وزاوية الصلاطقة ، وهى داخل الزاوية الأدهمية ، وزاوية الرأى ، وزاوية الشيخ على كنفوش الأدهمى ، وزاوية الشيخ محمد البيضة . وزاوية الموقع ، وزاوية الشيخ ابرهيم الحنفى ، وزاوية أبى كمال بظاهر المدينة ، ورباط الجاعبلى ، وزاوية الحضر وزاوية الأعنص الخ » .

(٣) يستدل من هذا أن كروم العنب كانت تحيط بالخليل كما هو الحال الآن

(٤) بيت جبرين وهى بين الخليل والفالوجة .

(٥) من عائلة مقدسية كنانية ، تعرف ببيت الخطيب ، وعليها الخطابة في المسجد الأقصى .

(٦) قامت بقربها الآن مدينة المجدل

وجاءوا معتذرين وثبنا فى (المسمية) بنفوس سمية ، وجد بنا إلى قرية (يُبْـنى) القول فيها أن مثلها ما يبنى ، وعمدنا إلى جامع سـيدى عبد الرحمن أبى هريرة ، واختلف فى اسمه الشريف ، المحدثون ، والذى رجح الأعيان عبد الرحمن ، ورجح صـاحب القاموس عبد الله . وبعد ما صليت الضحى ، قلت :

قصورالولامن رامها أن له تبنى عليه بابن يثنى الركاب إلى يبنى

وبعـد الزيارة توجهنا إلى (يازور) وزرنا سيدى حيدرة المنسوب لسيدى على المطلبى ، وبتنا بالقرية داخل الجامع الأنوس المعمور اللامع ، وفى الصباح قصـدنا قرة العين الحصن الأمنع سيدى سلمة بن الأكوع الصحابى (١) المهاب ، وغب الزيارة .

ارتقيت الطبقة طارقاً من باب الالتجـاء الحلقة ، فانفتح الباب بعونة الوهاب فقلت فى مدحه :

شرف بذكر الحب خلى مسمعى واعـد على حديثه يا مسمعى
وأدر كؤوس خمور سلمى جهرة فلعلهـا تشفى فواداً موجعى
وإذا سكرت فلا تلمنى اننى فى حال شربى لا أفيق ولا أعى

وعدنا إلى (يازور) حيث البسط يفور ، وما مكننا خليلها الخ من المسير نحو (يافا) ذات الوجه النظير ، وفى صباح يوم الثلاثاء حللناها واللحظ ينبعث انتعاشاً وبتنا فى دار أبى سليمان المواد وثنى الأخ الخواجه أحمد المنجاز المواد إلى الوداد . وسرنا يوم الخميس قبل بزوغ الشمس إلى المقام المليلى ، ووفد بعد الاستقرار ، الحاج حسن بن الشيخ مقلد وبات معنا . وأقمنا فى ذلك المقام المبارك الأنور ثانى يوم ووفد علينا قوم أحبة ، وختمنا الربعة الشريفة تلك الحضرة المنيمة ، وأهدينا ثوابها للمزور المشهور ، وللأخ السيد محمد السلفيتى المشكور ، وتوجهنا بعد صلاة الفجر ووداع المزار إلى (كفر سابا) وزرنا خباب بنامين شقيق سـيدى يوسف الصديق ، وكذلك السيد الصحابى سراقة ؛ وعند الوصول إلى (كور) ، ووفد علينا بزور الحاج يعقوب السندى ، وقصدنا فى الصباح شرب أقداح اصطباح ، عند بستان تسامى ضمن هاتيك البطاح ، وامتد زمان الانشراح إلى أن قرأنا ورد العصر ، داخل قبته الصغيرة ، الـكبيرة المراح ؛ وكان الحاج يعقوب ممن حضر وناح ، وتذكرت الأخ المرحوم السيد محمد العباسى [السلفيتى] .

« وأشرت على الأخ الحاج حسن منح فى الحب فهماً ، أن يغرس فى صفحاته كرماً ، وبعض أشجـار تين فأبدى عزماً ، وجمع فى الأمر جزماً ، وفعل ما به أشرنا .

« وبعد أن استوفينا أيام الإقامة فيهـا توجهنا إلى نابلس المحمية ، ونزلنا على عادتنا فى (الدرويشية) والأخ الحاج حسن معنا . وبعد أيام الإقامة ، ودعنا ، وتوجهنا (جماعين) وقصدنا قرية (سلفيت) وزرت ضريح الأخ المرحوم السيد محمد السلفيتى ، وختمنا الربعة الشريفة لديه . وقلت :

ما هـذه دار البقاء روحى روحى إلى باب اللقا المفتوح

« وأتينا دير غسان ، بعزم راجح الميزان لنوفق الخ . بين الزيود ، فما تيسر الاصلاح ، وتوجهنا إلى زيارة رجال (سوفا) المشهورين وبت لديهم ليلة الجمعة فى العشر الأول من صفر . ولم نلبث أن سرنا إلى (عابود) ومنها إلى (شقبة) ثم أتينا مزار (عِنّـير) وجلسنا فى محله المنير ، ودعانا إلى (الجانية) الشيخ صالح النوبانى ، وعدنا للديار المقدسة فى نصف صفر الخير .

« وكان الأخ محمد سعيد البصرى ألح فى طلب مقامة عراقية على نمط غير نمط الرومية فشرعت فيها وسميتها « المقامة العراقية والمدامة الإشراقية ، وتمت فى شهر ربيع الأول ، وجاءنى زائراً بعض المغاربة بصلوات سيدى على بن محمد وفا ، وكنت شرعت فى شرح عليها فى الديار الرومية [أى التركية] ولـكن النسخة تهدم بناء بعض حروفها ، فأجبته إلى طلبته وسميتها (جريدة المآرب ومزيدة كل شارب شارب) . وجردت الهمة وشددت العزمة فى منتصف هذا العام إلى تبيض الجزء الثانى من (شرح الورد السبحانى المسمى بالضـيا الشمسى على الفتح القدسى) وعرضت كراساً منه على الأخ محمد سعيد ليتأمل فيه وجاءنى فى الصباح ومعه معترفاً بعجزه .

ورأيت الأخ محمد سعيد عنده بعض فتور ، ونحن مع جماعة فى جبل الطور ، فخاطبته وبلديه موسى ناصحاً وقلت :

خليلى عن شوق ركابكما حثا إذا رمتما فى الروع أن تدركا نفثا

ولقد جاءنى الأخ محمد سعيد مرور الفرار فرقمت سطورا فى قرطاس ورفعتها له :

وجوه الورى من واجهوا أشرف الورى
وللأثر السـامى اقتفوا حالة السرى الخ

« وجاءنى من مدينة الخليل الشـيخ محمد النزعانى فرآنى

(١) مقامه فى قرية سلمة وبه سميت .

أقصوصة شعرية:

الحسناء والبلبل

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

(هذه الأقصوصة الشعرية تصور ما قد ينشأ بين الإنسان وغير الإنسان من عواطف نبيلة، ومشاعر سامية. وهي مهداة إلى الذين يقدسون معاني الحب والوفاء في هذا الزمان)

هي حسناء في ربيع الحياة ... تتراءى كأجمل الذكريات
حسنها قبلة العيون جميعاً ... ومراد الأحلام والأمنيات
وصباها أرق من طلعة الفجـ ... ـر، وأبهى من روعة الزهرات
وعلى وجهها الجميل من الفكـ ... ـر سمات أنعم بها من سمات
هي شوق إلى معانقة المجـ ... ـهول يبدو في حيرة النظرات
ومعان عميقة لست أدريـ ... ـها، ولكن أحسها في حياتي

عندها بلبل يغني غناء ... يحمل القلب هائماً حيث شاء
ويثير الأحلام في كل نفس ... تبصر الحلم كوكباً وضاء
كلما زادها من الشدو والأنـ ... ـغام زادته روحها إصغاء
وهي مفتونة تكاد تراه ... عاشقاً يملأ الحياة بهاء
فتراها تضمه إن أتاها ... وإذا غاب أتبعته النداء
وأماني النفوس تبدو رموزاً ... حينما تستكن فيها حياء

وجدته في بيدر مهجور ... يتغشاه مثل صمت القبور
وهو من جرحه يئن أنيناً ... يتراءى على الثرى في فتور
فانثنت نحوه، وخفت إليه ... وانحنت فوقه بقلب كسير
وأست جرحه، وعادت به تسـ ... ـعى إلى بيتها الجميل النضير
ثم جاءت له بحب وفير ... مثلما يشتهي، وماء نمير
وأقامت له هنالك عُشًّا ... مهدته له بزهر نضير

أتراه لما تقوى وطارا ... ترك العش خاوياً وتوارى؟
كيف ينسى من أنقذته وقد كا ... ن يرى الموت ليله والنهارا؟
إن أضاع الذمار والعهد إنسـ ... ـان فمن الطير ما يصون الذمارا
كان يمضي كما يشاء قريباً ... أو بعيداً يسابق الأطيارا
ثم تدعوه بالصفير فيهفو ... ثائر الشوق لا يطيق انتظارا
كغريب نائي الديار دعته ... فمضى مسرعاً يؤم الديارا

علمته الغناء والألحانا ... فشأى الطير منطقاً وبيانا
فإذا ما سمعته يتغنى ... خلته في غنائه إنساناً
وإذا ما رأيته وهو يهفو ... بجناحيه حولها نشوانا
خلته عاشقاً يطوف بمعشو ... ق يغنيه حبه ألحانا
يا له من هوى يؤلف ما بيـ ... ـن الغريبين خلقة ولسانا
يا لهذا الغناء ترسله الرو ... ح، فيلقى من إلفها ترجمانا

حين يأتي المساء كان يغني ... فيثير المنى بحلو التغني
فتناغي شقيقها كل نفس ... وتناجي رفيقها كل عين
وهي مسحورة تضم من الشو ... ق فراش الهوى، ومهد التثني
فإذا ما انتهى من الشدو نامت ... وبأعماقها صدى كل لحن
ثم راحت تهيم في عالم السحـ ... ـر، ودنيا الهوى، وأفق التمني
حيث تحيا كما تشاء الأماني ... حين يسمو بها الربيع المغني

وإذا ما الصباح هلَّ عليها ... وهفا قلبه الرقيق إليها
فاستفاقت من حلمها غير ذكرى ... لم تزل تستكن في ناظريها
أرهفت سمعها فطارت من البلـ ... ـبل أنغامه إلى مسمعيها
فإذا قلبها يحركه الشو ... ق فيذري الدموع من مقلتيها
وإذا ما استراح قامت إليه ... وهي مسحورة تمد يديها
فغذته بالحبِّ من راحتيها ... وسقته بالماء من شفتيها

داخل بستان في الحرم الداني، فقال لو وسمته كان حسناً وأمر الدنيا فاني، فقلت هذا في خاطري معنى يبدي لمعاني، فيسر الله في مطلبه تلك الأيام، وتم على وجه حسن جميل وأكمل نظام، وكان المجمع التحتاني في دارنا تم، والمولى جل وعلا طم أنعامه علينا وعم، ولما انضم إلينا زكريا بن الحاج يحيى نسيبة (١)، وجماعات أخر من أحباب منحوا فتحاً يملأ العيبة، حصلت منهم مساعدة جسيمة في أمر العمارة الحرمية. وبعد ما كمل عام (١١٤٢ هـ) وتمت أيامه ولياليه ذات المدد المكين.

(يتبع) أحمد سامح الخالدي

(١) عائلة مقدسية خزرجية، بيدها حتى اليوم مفاتيح كنيسة القيامة، خرج منها علماء وقضاة.

هكذا ظلت الحياة زماناً تتجلى سعادة وأمانا
وُتعد الحسناء بالحب والشو ق ، فتفتنُ فى الأمانى افتتانا
غير أن الزمان من شأنه الكيـ د ومن ذا الذى يكيد الزمانا ؟
والليالى إلى المودة آناً والليالى إلى العداوة آنا
وأرى العمر ساحة ينبت الدهـ ر عليها نبـــاته ألوانا
فهو إن شاء ينبت الفرحة الكبـ رى ، وإن شاء ينبت الأحزانا

فى مساء من أمسيات الشتاء تدرك النفس فيه معنى الفناء
وتنوح الرياح نوح الثكالى فتضج الجبال بالأصداء !
أخذ البلبل الجميـــل يغنى أغنيات تهيم فى الظلماء
وإذا صوته يسـيل دموعاً فكأن الغناء رجع بكاء
أتراه يُحس خطو المنـــايا حين تسرى بركبها فى المساء ؟
أتراه يرى الحياة تهـاوى فى وهاد سحيقة الأرجاء ؟

وأتاها الكرى مثير الخيال فانتشت روحها بخمر الليالى
فرأت فى منامها أن نسراً محكم الخلق ، مدمج الأوصال
أبصر البلبـــل العزيز يغنى وهو يعلو محلقاً فى الأعالى
فانثنى نحوه ، فأنشب فيه مخلباً حده كحد النصال
ومضى مصعداً ، وللبلبل الشا دى صريخ يفنى كطيف الخيال
فجرت خلفـــه تولول حتى أبصرته يغيب خلف الجبال

وتراءى الصباح جهم المحيا تعصف الريح فيه عصفاً قويا
فاستفاقت من نومها وهى تشكو ألماً كامنـاً ، وحزناً خفيا
أرهفت سمعها لتسمع منه نغمة حلوة ولحناً شجيا
لم تجد صوته ، فهبت من الرو ع تنادى من ليس عنها قصيا
فإذا البلبـــل العزيز المغنى جمل الموت صمتــه أبديّا
وجمت ساعة ، وفى القلب منها حُرقات تطوى الجوانح طيا

وجرى دمعها فأنت أنيناً يجمل الموت خاشعاً مستكينا
ثم راحت تضمه فى حنان وتنـــادى به نداء حزينا :
أيهـــا البلبل العزيز أما تبـ صر قلبى يسيل دمعاً سخينا ؟
كنت فى هذه الحياة طليقاً كيف أمسيت للفناء رهينا ؟
سوف تبقى معى هنا أبد الدهـ ر ، وإن كنت تستثير الحنينا
سوف تحيا ذكراك فى قلبى البا كى ، وإن كنت فى التراب دفينا

لم يا بلبلى ارتضيت الفراقا فشببت الحنين والأشواقا ؟
ما لهذا الظلام يغمر نفسى فيبيد الضياء والإشراقا ؟
ما غناء الحياة من غير إلف يجعل القلب واثباً خفـاقا ؟
سوف أبكيك طيلة العمر حتى يأتى الموت مسرعاً سبـــاقا
سوف أمضى مع الحياة بقلب ليس يبغى من الهموم انطلاقا
كلما مرت الليالى عليـه لم تزده إلا هوى واشتياقا

دفنته — وليس ذاك عجيباً — حيث قضّى حياته تطريبا
كيف ترضى بأن يكون بعيداً ؟ كيف ترضى بأن يكون غريبا ؟
فإذا أقبل المســاء تراها تؤثر الصمت أو توالى النحيبا
وترى طيفه يغنى مُهيباً فإذا قلبها ينوح مجيبا !
وإذا أقبل الصـباح تراها تسأل الليل أن يعود قريبا
لترى حولها من الصمت والوحـ شة ما يشبه الفناء الرهيبا

لم تزل هكذا زماناً طويلاً وهى تزداد من أساها نحولا
وتنادى الفناء حتى أتاها عاصف الداء من لدنه رسولا
ثم جاء الفنـاء يسعى رهيباً فطواها ، وسار عنها عجولا
فثوت فى مكانها حيث كانت تسمع البلبل العزيز الجميلا
وتلاقى الروحان بعد افتراق فى مكان لما يزل مجهولا
ومضى عنهما الزمان ، فصارا قصـة للوفاء ، تُروى فصولا

إبراهيم محمد نجا

صـــلاة

للأديب رشيد ياسين

رب أنزل على ضميرى السكينه وقنى هاجسات نفسى اللعينه
واطوما تنشر الرغائب من جور وما يخلق الهوى من ضغينه
وأنر لى دربى ولا تنس عبداً تائهاً فى الظلام يقفو ظنونه
واغتفر عثرتى فما كنت شيئاً غير ما شئت ـ خالقى ـ أن أكونه
أنا ما كنت غير رسم شقى أنت ظللت بالهوان جبينه !
طينة صورت — كما شئت — قلباً مستبداً ، وعزمةً موهونه ..
أعلى ما برت يداك يقاضى عدلك السرمدى تلك الطينه ؟!

(بغداد) رشيد ياسين



تنسيق الزهور

للدكتور أحمد موسى

ليس من الغريب أن يكون تنسيق الزهور فناً ، ولكن الغريب أن يتصور البعض أن الأزاهير وما يتعلق بتنسيقها لا يهم إلا فريقاً معيناً من الناس ؛ والحق هو أن هذا الفن الذي قد يبدو ضئيلا عند النظرة الأولى يهم كل مثقف وكل متعلم ، لأن الاستمتاع بمرأى الزهر في أكمل وأجمل صورة له من شأن الراغب في التذوق ، ولا يوجد مثقف أو متعلم لا يرغب في هذا التذوق !

والتذوق في ذاته لا يتم إلا بدراية الفن ولو في أبسط معانيه وصوره ، لذلك نرمي في هذا المقال بإيضاح الموضوع بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة التي تتلخص في فهم الوسائل والطرق التي يسير الناس عليها في تنسيق الزهور في بيوتهم وفي حجرات جلوسهم وغرف استقبال ضيوفهم ، ينظرون إليها على اعتبارها جزءاً متمماً للجو البيتي الذي ينشدون فيه الجمال .

ولتذوق جمال الزهر تاريخه القديم وتاريخه المتوسط وتاريخه الحديث ، ولكنا لسنا في مجال تاريخ الفن في هذه المرة وإنما نحن في معرض تذوق جمال الزهر نتيجة تنسيقه ؛ فإذا رجعنا إلى معابد المصريين ومقابر ملوكهم رأينا عجباً ، ففي ممفيس وطيبه ودندره وأبي دوس وغيرها مناظر تسجل افتتان المصريين بالزهر وإمعانهم في تنسيقه .

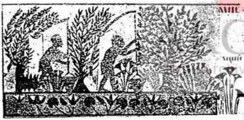
ولا يقل الحال شأناً عند الإغريق الذين اتخذوا من وحدات الزهر والنبات مادة لزخارفهم ونقوش مبانيهم ، والرومان من بعدهم لم يكونوا أقل اهتماماً من أساتذتهم .

والمستعرض للفن الإسلامي يجد فيه الكنوز الحافلة بما يسجل عشق المسلمين للأزاهير ، وفي أشعارهم القدر الكافي مما يؤيد ذلك ، وحتى في غزلياتهم كانوا يقتبسون من حسن قوام الغصن ولون الزهر صفات طبقوها على المحبوب اعترافاً منهم بما للأزاهير من جمال وبهاء .

فكأننا أمام موضوع له خطره وله قيمته ! وعليه فلا بد لنا من أن نعرف كيف نحب الزهر وكيف ننسقه ثم كيف نحافظ عليه منتعشاً أطول مدة ممكنة .

والذي يجب أن نعرفه مبدئياً أنه لا يشترط لجمال الزهور بادية في أجمل وضع لها أن تكون سيقانها موضوعة داخل زهرية جميلة في ذاتها ، أو قيمة من ناحيتها المادية ، ذلك لأن من الجائز جداً أن تكون المشكاة بسيطة التكوين قليلة الألوان ليس فيها ما يبهر النظر ، ومع هذا تكون مناسبة لإبراز معالم جمال الزهر ولفت حاسة الانتباه إليه ، وهذه مسألة فاتت الكثيرين الذين يضعون الزهر في مشكاة ثمينة رائعة الألوان ؛ فيطغى جمال الصناعة على جمال الطبيعة ، ويكون الإعجاب والاستمتاع موزعاً .

وربما كانت أبسط القواعد لمعرفة طبائع الزهر وأنواعه وعلاقة لونه بتأثيره في مكان أو ركن معين من البيت خير رائد لنا للوصول إلى الغاية .



ش ١ — ري البستان ، عن صورة حائطية بإحدى مقابر طيبه — الدولة الحديثة

فما لا شك فيه أن لون الحائط خلف الزهرية ولون المائدة وكذلك لون الزهرية نفسها ، كل هذه الألوان متجمعة تلعب دوراً هاماً في إظهار الورود والزهور في أجمل صورة وأقوى وضع لها ، أو على النقيض تبعد النظر عنها وتضعف من قيمتها .

هذا إلى جانب الدور العظيم الذي يلعبه الضوء بقوته حيناً وضعفه حيناً آخر ، إلى جانب وقوعه على الزهر مباشرة أو انحرافه عنه .

وإذا كان لون الحائط والمائدة ، والنور وزاوية وقوعه على الأزهار ذات أثر بالغ ، فما لا نزاع فيه أن مساحة الحجرة ومساحة المكان المخصص للأزاهير لا يمكن إغفالها ، وهذا معناه أنه لا يجوز وضع مجموعة كبيرة من الزهور في حجرة صغيرة والعكس بالعكس .

وعلى ذلك تكون القاعدة الأولى هي التنسيق والتناسب مع المكان وليس غنى المظاهر ، وأنت تعلم أن شقة حجراتها معدودة في نظام فني ، خير من مبنى متسع الأرجاء لا نظام فيه ولا ارتباط بين أثاثه .

وربمــا كان من الضرورى أن نذكر أنه لابد من اختيار الأزهار ذات الألوان المنسجمة مع طراز الأثاث ولونه ، وهــذا القول وإن بدا على شيء من الغرابة فإنه صحيح ، فإذا وضعت زهر عباد الشمس وهو شديد الصفرة متوهجاً ، داخل حجرة أثاثها من خشب القرو وهو ذو لون باهت أقرب إلى الصفرة ، فإنك تجد هذه الزهور الجميلة فاترة ضعيفة على الفور ، على نقيض وضع هــذه الزهور نفسها فى حجرة أثاثها من خشب الماهوجنى الداكن اللون ، على مائدة تعلوها سجادة داكنة أيضاً ، على أن تكون بالحجرة نافذة كبيرة يدخل منها نور قوى .

ولتــكوين سيقان الزهر وطولها قيمته الفنية ، وللسيقان وطولها علاقة وثيقة مع الزهرية ، فلا ينبغى وضع أزهار ذات سيقان رفيعة قصيرة فى مشكاة طويلة واسعة .

وليس من الغريب أن يكون قانون التماثل أو التناظر أو ما يسمونه « قانون السيمترى » باطل الأثر بالنسبة إلى فن تنسيق الزهور ، بل إن الخضوع له وتطبيقه يؤديان إلى التقليل من الجمال المظهرى لها ، لما ينطوى عليهما من وجوب وضع زهريتين متشابهتين فى مكانين متقابلين وما يؤدى إليه هذا من التكرار الممل

ولــكل وقت من أوقات النهار ما يناسبه من الزهر ، فعلى مائدة الإفطار ذات المفارش الخاصة بها يمكن وضع زهر الجرونيا أو منقار الغرنوق Geranium والأقحوان أو كحلة الجنــائن Calendulas والتيوليب أو الخزامى Tulips والنستوريوم أو زهر أبو خنجر Nasturiums ، وهى أنواع إذا نظرت إليها وجدت أن تأثيرها على الشاهد ينحصر فى وضعها متقاربة غير منثورة فى الزهرية ، على حين يناسب مائدة الغذاء خليط من مختلف ألوان الزهر يوضع فى زهرية واطئة أشبه شيء بطبق ، بحيث لا يحول بين وجوه الجالسين حول المائدة ، هــذا فضلا عن عدم قابلية الطبق للسقوط على المائدة أو ميله على أحد جوانبه عند أقل حركة أثناء الجلوس أو القيام . أما الأزهار الملائمة لمائدة العشاء فهذه تكون عادة ذات أغصان طويلة رقيقة تمتد رؤوسها إلى أعلى وليس إلى اليمين أو اليسار فيتخللها النور الســاقط من المصابيح المثبتة بسقف الغرفة فتبدو فى أروع مظهر ، على أنه لا ينبغى أن تكون متعددة الألوان ، ولعل الورود أحسن من غيرها فى هذه الحالة .

ومما لا ينبغى الوقوع فيه وضع بعض الأوراق أو الأغصان على المفرش سواء أكان العشاء لأصحاب البيت أو لزوارهم . وقد رأينا البعض يضع لوحاً من البلور أو زهرية أمام مرآة المشجب وهذا لا غبار عليه ، ما دامت الأزهار لا تمتد كثيراً إلى أعلى فتحجب المرآة . ولون الزهرية وموضوع اختياره من المشاكل الجديرة بالدرس ، فالثابت أننا إذا نظرنا فى ضوء الشمس الساطع إلى الأزهار ذات اللون الأحمر والأزرق والأصفر وإلى جانبها جميعاً اللون الأخضر وهو لون الورق والأغصان والحدائق والحقول ، فإنها عندئذ تبدو فى حلتها الطبيعية ، حالة كونها تبدو على نقيض ذلك فى النور الخافت نهــاراً والضوء الضعيف ليلا ، ونجد أن لونها ليس طبيعياً ، وعلى ذلك يجب مراعاة هــذه العوامل عند التنسيق . واللون الأصفر مما يناسب معظم الحجرات والأماكن ، وهذا هو السر فى أن معظم العارفين يتخيرون الكالندولا أو كحلة الجنائن فى غالب الأحوال ، على حين نجد أن الزهور الزرقاء مجردة عن رونقها فى الأركان القليلة النور ، وهذا لا يمنع من اعتبارها جميــلة ذات تأثير محبب إلى النفس متى وضعت بالقرب من شــباك يدخل منه النور القوى ، أما فى الليل فهى تفقد رونقها وتبدو كالحة اللون رمادية أو سنجابية .



ش ٢ — سيدة جالسة إلى جانب شباكها المنسق بالأغصان والأزاهير

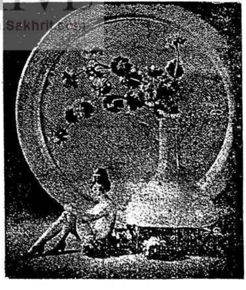
على أن أوراق الشجر وأغصان الزهر تلعب دوراً هاماً بوضعها إلى جانبها ، فالالتفات إلى إيجاد الانسجام بين هــذه الأوراق

والأغصان وبين الأزهار نفسها أمر لا مناص منه . فوضع الورق الأخضر الداكن إلى جانب الأزهار الباهتة بحيث لونهـا ، كما أن وضع الورق الباهت إلى الزاهي من الأزاهير يضعف من رونقها

وكأننا أمام قاعدة ثابتة تتلخص في وضع اللون السمني إلى جانب الأحمر الداكن ، واللون الأبيض إلى جانب الرمادي . واللون الوردي إلى جانب الأبيض !

ومما لا يحتاج إلى بيان أن ذوى الذوق الجميل يجدون الفرصة مواتيـة للتصرف حسب ما يمليه الذوق عليهم ، فتكون لديهم المقدرة على حذف زهرة وإضافة أخرى أكثر انسجاماً . هذا إلى جانب مايكتسبه المرء من المران والاختبار للوصول إلى الغاية المثلى .

مما تقدم يمكن أن نصـل إلى القول بأنه إذا أريد تنسيق بعض الأوراق الخضر مع الزهر الأحمر والأصفر والأبيض فإنه يجب والحالة هذه الاعتناء التام باختيار الوضع الملائم لـكل منها في الزهرية ، ذلك لأنك إذا وضعت الأزاهير الحمراء حول المجموعة تجد أن النظر لا ينتقل منهـا إلى الأزاهير الداخلية بل ينصرف عنها إلى خارجها لشدة لونه وقوة شخصيته .



ش ٣ — أنموذج للانشاء الفني لتنسيق الزهر

ومن بين الأزهار ما يبدو في أجمل صورة له عند ما يكون مستقلا قائماً بنفسه إذ استغنينا بضع أوراق خضر تمين المشاهد على التركيز النظري . والزهور كائن حي رقيق الحس ولذلك لامناص من معرفة بعض القواعد عن كيفية قطفها ومعاملتها والمحافظة عليها أطول مدة ممكنة فيطول بذلك أمد الاستمتاع بها .

فأنسب وقت لقطفها وقت بزوغ ألوان الفجر أو عند الصباح الباكر وقتما تكون قطرات الندى قد رصعت تيجانها وبدت فوقها كحبات اللؤلؤ . أما القطف فلا يكون كما اتفق بل نلاحظ فيه أن تكون السيقان طويلة بقدر الإمكان ليمـكن تنسيقها حسب الإرادة ووفقاً لعمق الزهريات التي ستوضع فيها والأواني المخصصة لها .

كما ينبغي عدم تجريدها كلية من أوراقها تمهيداً لتنسيقها .

والقطف لا يكون قاصراً على الزهور المفتحة فحسب بل يجب أن يشـتمل على درجات النضوج الثلاث وهي بدء التفتح وتوسطه وكماله ، كما أن من الأوفق كثيراً استخدام المقص المخصص لهذا الغرض أو على الأقل استعمال سكين حادة ، على أن يكون القص أو القطع مائلا كثيراً بقدر المستطاع وليس قصاً أو قطعاً أفقياً وذلك لتمكين ساق الزهر من امتصاص الماء وهو غذاؤه داخل الزهرية .

وأول عمل يجريه عنـد وصول الزهور إلى البيت هو غمرها في الماء البارد داخل إناء كبير يتسع لها دون ثنيها أو كسرها بحيث يصل الماء قمة العنق ، مع تركها بعض الوقت بحالتها هذه في مكان قليل النور رطب الهواء بقدر المستطاع .

ولا يتسع المجال لذكر كل أنواع الزهور ومعالجتها بالوصف الخاص — والإيجاز لا يخل بالموضوع ما دمنا نستعرض أكثر الزهور استعمالا ، فزهر الخنجر Gladiolus يقطع بمجرد بدء الزهرة الثانية على الساق في التفتح ، لأن البقية تتفتح بعدئذ في ماء الزهرية خلال الأسبوع الذي تعيشـه في البيت . وعند ما يلاحظ أثناء تغيير المـاء — وهو أمر لازم يومياً — أن نهاية السيقان قد أصبحت لينة لزجة ، فإن الضرورة تقضي بقص هذه النهاية بعد عصر الساق .

أما زهرة الداليا Dahlia فهي من الزهور الطويلة العمر إذا قطفت عند ما يقرب تفتحها من الـكمال ويكون القطف فوق الوصلة مباشرة حتى تكون الساق مفتوحة من أسفلها ، فلا تقابل الماء عقبة أثناء مروره للتغذية .

وفصيلة السـوسن أو الزنبق Irises تقطع عند ما يبدأ أول زر في التفتح ، وذلك لأن التي قد تفتحت يوماً أو يومين قبـل القطع تكون قصيرة العمر .

والورود تقطع بسيقان طويلة بقدر الإمكان ، بعد ترك جزء

من ســاقها فى الأرض لاستكمال نموه . ويضع بعض المغرمين بالأزاهير قطعة من الفحم النباتى فى قاع الوعاء ليكون الماء عذباً أطول مدة ممكنة . وهناك فريق يضع قرصاً من الاسبرين لإنعاش الزهر . وغير هؤلاء وهؤلاء نجد من يمزج فنجاناً من السكر على لتر ماء توضع فيه زهور الكريزانتيم فتظل حافظة نضارتها أسبوعاً كاملاً .

أما ضرورة قص أطراف السيقان يومياً إكمالاً لعملية تغيير الماء فهذه مسألة يعرفها معظم الناس ولكن هناك ما يدعو إلى التنبيه وهو أن عملية القص يجب أن تجرى تحت حنفية الماء مفتوحة يتدفق ماؤها على السيقان حتى يحول هذا العمل دون دخول الهواء إلى ساق الزهر فيقضى عليه . ولا يصح وضع الكثير من الزهور فى زهرية ضيقة العنق لأنها بهذه الكيفية تختنق إذ لا يمر الهواء من بينها ولا يستطيع الماء الوصول إلى قممها .

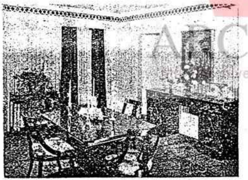
وأنواع الزهريات كثيرة وألوانها متباينة وطرزها بين قديم وحديث لا حصر لها ، فالعبرة بحسن الاختيار والتفرقة بين ألوان الزهر وبين ألوان الزهريات ووضع ما يلائم واحدة منها فى مكانها المناسب لها . وكلما كانت الزهور رقيقة كانت الأوعية الزجاجية الرفيعة أكثر صلاحية لها .

والفن داخل البيوت موضوع قديم عند كل الأمم المتمدينة وإن يكن حديث عهد فى بلادنا ، وهو فى وقتنا الحاضر يتلخص فى البساطة والبعد عن الزخرفة والزركشة والازدحام ، مما أدى إلى الاستعانة بالزهر على تجميل البيوت ، التى إن عرفنا كيف نجملها لما احتملنا البعد عنها .

ويستعين العارفون بما يسمونه « الماسك » أو القابض على سيقان الزهر للربط بينها لتظل فى وضعها المرغوب ، وغير هذا توجد قطع مستديرة من البلور ذات ثقوب ، وهذه القطع توضع فى قاع الزهرية التى تكون عادة متسعة العنق أو على هيئة طبق ذى قطر كبير ، وذلك لتثبيت السيقان فى أوضاعها المختارة بوضع نهاياتها السفلى فى تلك الثقوب . ويلعب الرمل النظيف دوراً هاماً فى المساعدة على تنسيق الزهر ، فبوضعه فى قاع الزهرية يعين على التثبيت ، فضلا عن أنه لا يعوق وصول الماء إلى السيقان لتغذية الزهر الذى يكون غالباً من النوع الرقيق القصير كزهرة البانسى Pansies والفيوليا ويسمونها زهرة الثالوث وهما من فصيلة البنفسج ، وزهرة الزعفران Crocuse وزنبق الوادى Lillies Of The Valley . على أنه لا ينبغى أن يبدو الرمل ظاهراً أمام عينى الشاهد .

ومما نحسد عليه بلادنا العزيزة أن الزهر لا ينقطع طوال أيام العام على حين نجده فى أوربا نادراً لا سيما فى الشتاء القارس . والعقبة التى تصادف هواة الزهر فى الأقطار الشرقية هى سرعة ذبوله فى الأوقات الحارة ، ولكنا إذا عالجناه كما ينبغى أمكن البقاء عليه مدة كافية .

وكقاعدة عامة نقول أنه كلما قل الزهر عدداً وحسن تنسيقه كلما كان مظهره بسيطاً جميلا . والعجيب أن نجد الفنان اليابانى يأبى إلا أن يسير على هذه القاعدة ؛ فنراه حتى فى لوحاته المصورة لا يأبه إلا بغصنين أو غصنين تعلو كلا منهما زهرتان ، يصورها فى أروع ما يكون من الجمال وحسن التنسيق وإبداع الإنشاء الفنى



ش ٤ — حجرة الطعام وقد ازدانت بمجموعات ثلاث من مختلف الأزاهير

وإذا كان القارىء من المحظوظين الذين يمتلكون بستاناً ، فإن عليه أن يختار الأغصان ذات الانثناءات ، فهى فى الزهرية تكون رشيقة كالحسناء ذات القوام الممشوق ، وتبدو الأغصان مائلة بعضها نحو بعض كأنها تتحدث حديث حب وغرام .

فأغصان الرمان المزهر وأغصان الليلك (لعلى) Lilac والكمثرى لها تكون ساحر خلاب يحمل أزاهير يانعة رقيقة إن تأملتها عن كثب زدت إعجاباً بقدرة الخالق وعلمت بأن الطبيعة هى أم الفن وأننا مهما أوتينا من العلم فلن نصل إلى قطرة من ذلك الخضم اللانهائى

أحمد موسى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أحاديث الرهبان في قصص العريان :

دأب الأستاذ محمد سعيد العريان ، في قصصه التاريخية ، على اللجوء إلى ما يرجى عنده معرفة الحوادث قبل وقوعها ، من التنجيم وأحاديث الرهبان ، واستخدم الأحلام استخداماً غير طبيعي ، وقد تعقبته في هذه النقطة بالرسالة غير مرة ، ففي قصة « قطر الندى » جعل المربية العجوز تحلم وتموت دون أن تفضي إلى أحد بحلمها ، وذكر تفصيل الحلم ! وفي قصة « شجرة الدر » أنطق المنجم بما وقع فعلا ! وصنع شيئاً من ذلك في قصة « على باب زويلة » .

وأخذت عليه كل ذلك ، وقلت فيما كتبته عن « شجرة الدر » : إن كان لا بد من الاستعانة بالتنجيم في تصوير البيئات والعصور التي كان للتنجيم فيها شأن وذيوع — فإني أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل .

وكأن الأستاذ أراد العناد . . . فتوسع في ذلك المجال بقصته الجديدة « بنت قسطنطين » التي حلل بها شخصية مسلمة بن عبد الملك وما أحاط به من ظروف وسبب عدم توليته الخلافة على رغم جدارته بها ، وصور فيها البطولة العربية وجهادها الرائع بين سواحل الشام وثغور الروم ، فبلغ الغاية في التحليل والتصوير .

فإنه لم يكد يمضي في هذه القصة حتى ساق رجلين من أبطالها ، هما مسلمة والنعمان بن عبيد الله أحد المجاهدين ، إلى راهب بأحد الأديار ، وكان مسلمة يعد العدة لفتح القسطنطينية ، فيقول له الراهب فيما يقول : « يدنو (يعني مسلمة) حتى يكون قاب قوسين ، فيقف بين بين ، ثم يفلتها بعد الأين ؛ بينه وبين ما يأمله مئتان ومئتان وثلاثمئة ؛ ثم يكون ما أراد ، حين لا متاع له بشيء من ذلك الزاد ، إلا عين جارية ، وسيرة باقية ؛ ويذكر أبو أيوب ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مراد ! . . »

ثم يحاصر مسلمة القسطنطينية حتى يكاد يفتحها ، ولكنه « يفلتها بعد الأين » وبعد سبعمائة سنة (٢٠٠ و ٢٠٠ و ٣٠٠) يفتحها محمد بن مراد العثماني !

وليس هذا وحسب ، بل ينبيء الراهب عما يقع من الحوادث في القصة بعد ذلك ، ويكون حديث الراهب محوراً يدور عليه الحوار فيما يأتي بعده .. ويتصل بهذا المحور محور آخر ، هو تلك الرؤيا العجيبة التي رآها مسلمة والنعمان في وقت واحد وفي طريق واحد وعلى صورة واحدة (كنسختين بالكربون) !

والأستاذ العريان يتخذ ذلك ، لحبكة السياق ، ولإبراز الخواطر التي تختلج في نفوس أبطال القصة ، ولبث بعض الطلاوة في الحوار . ولا أثر لذلك الصنيع في القصة غير هذه الأغراض وما يشبهها ، أما بناء القصة فهو قائم بغير طلائه ، وحوادثها جارية لا يعوقها منه شيء ؛ وقد يتأتى للأستاذ أن يحقق تلك الأغراض ، من حبكة السياق الخ ، من غير تلك الخرافات . . .

وأنا أسأله أخيراً : هل يعتقد صحتها ؟ ولا أنتظر منه جواب هذا السؤال فهو معروف ، وإذن فلم يحشوها ، كأنها حقائق مسلم بها ، في قصص مؤلف من وقائع الحياة فيما مضى ، وتخيل ما يماثل هذه الوقائع ؟

وغاية ما أرجو أن يخلو من ذلك ما يؤلفه بعد من هذه القصص التي يجلو فيها التاريخ في صور من الفن الممتع . وأنا لم أتعب من تعقبه ، ولن أتعب ما أمهلتنا الحياة .

الجيل الجديد :

تلقيت كتاباً من الأديب صبري حسن علوان ، فأذكر أولا أنني اغتبطت بما تضمنه من الثناء على « الأدب والفن » ولا داعي للرياء ...

وأقول ثانياً إنني استبشرت به ، لأنه يرمز أملي في الجيل الجديد على الرغم مما يبدو من عوامل اليأس . وصبري طالب في الجامعة قد « عدت له عجلة الحياة من السنين ثمانية عشر ولما تتم دورتها الأخيرة » وهذا نص تعبيره في كتابه . وقد حدثني في بعض

الموضوعات الأدبية حديثاً يدل على فطنته وحسن تذوقه ، كما يدل على أن الجيل الجديد — إن كان لصبرى أمثال كثيرون — مفتح عينيه لما يجرى الآن فى الحياة الأدبية ، فهو يقول إنه يقرأ «الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية فيرى فيها شيئاً لا يرتاح له . نعم إن النشر ليس مقياس الجودة . ولكن الذى يستحق التنويه أن الأسماء التى لها سابقات فى الأدب والفن تأتى بالغث الهزيل الذى تأباه الأذن وتضيق عنه القلوب .. ! »

وأفسح قليلا لهذه الملكة الناقدة المتفتحة ، فأنقل النقد الآتى بنصه كما جاء فى ذلك الكتاب :

« ومن الأسماء المشهورة ما قاله أحدهم عن « ذكرى شهداء فلسطين » فى جريدة الأهرام .

لسنا بمن يذرى الدموع على الدم   بل نحن أبناء المنايا فاعلم

كأنى به فى كتاب من كتب العلم القديمة يقول مؤلفه : فاعلم وفقك الله أن ... وأن ... والله أعلم !

ثم يقول بعد أبيات :

ظلم (اليهود) الناس ثم تظالموا   منهم فمن للظالم المتظلم ؟!

إن قلبى الذى كان يتوقع النور من الفن أحدق به الظلام حتى إنه تظلم إلى الأدب والفن .. من تكرار الظلم المرذول . إنه يحيل إلى أن كلمة « ظلم» هذه تمن على اليهود بشىء من الرحمة والرأفة »

وقد تلقيت عدة رسائل يشكو أصحابها من « عدم النشر » وكل ما عندى فى هذا الموضوع قلته فى العدد (٧٩٠) من الرسالة غير أنى رأيت بعضهم كالأديب كيلانى حسن سند « يتواضع » فيفرض أن من لا ينشر له جهل نفسه فرفعه حب الشهرة إلى معالجة فن لا يحسنه ، ويقول : « ألم يكن من الخير له وللأدب أن ترشدوه وتوجهوه وتعرفوه حقيقة المنبع الذى تفيض به نفسه ليستغله وينتفع به؟ » .

فهل من العمل الصحفى — فى الأدب وفى غيره — أو هل من مهمة الكاتب ، الإرشاد الشخصى ؟

نعم إن الكاتب يتناول الظاهرة العامة ويكتب فيها للجميع ، أما أن يتناول الأفراد واحداً واحداً فيوجه هذا ويرشد ذاك ، فهذا من عمل المدرس الخاص ، وأظنك وقفت فى الأسبوع الماضى على رأيى فى الدروس الخصوصية ، ولعل المطالبة بالإرشاد من آثارها ..

والذى لا يعرف أين يتجه ، مما يقرأ ويشعر ويلاحظ ، فليرح نفسه .

وبعد فإن قلبى مع هؤلاء الشباب وإن كنت لا أستطيع لهم شيئاً .

دراما وكوميديا :

انضم الأستاذ يوسف وهبى بك أخيراً إلى الفرقة المصرية مديراً لها ، وهو بلا شك ممثل كبير ومحبوب لدى الجمهور ، وانضمامه للفرقة كسب لها ومدعاة لإنهاض المسرح المصرى من النفوة التى طالت مداعبتها لأجفانه .

ذلك كله لا شك فيه ، وقد استبشر محبو المسرح بالنشاط الذى أبداه يوسف وهبى فى مفتتح هذا الموسم ، ولكن ذلك اقترن بحركة دعاية واسعة ظفر منها يوسف وهبى بتنصيب الأسد ، فقد ملأت أحاديثه الرنانة أنهار الصحف والمجلات ، وعاد النقاد من زياراته يكتبون الفصول فيما يوشك أن يقع من معجزات الفن ولم يكتف هو بذلك ولا بالإعلانات التى نشرت فى كل مكان وقد تضمنت أن يوسف وهبى يقوم فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » بدوره التاريخى العجيب ، فرأينا بالصحف فصلا يتضمن نبأ افتتاح الفرقة موسمها ، مو شى بتمجيد بطل الرواية مدير الفرقة فى دوره المظيم ، وقد نشر فى عدة صحف بنص واحد .

ولو أن الأستاذ يوسف صاحب فرقة خاصة لكان له أن يعلن عن نفسه كما يريد . ولكن الفرقة المصرية لها كيان مستقل ، وهو موظف فيها ، والمال الذى ينفق فى الدعاية من خزانتها ؛ فأين هى وما نصيبها من كل هذا الطبل والزمر ... ؟ ولنفرض أنه تركها وقد طغى عليها بالدعاية لنفسه ، فكيف يكون حالها ؟

هذه هى « الدراما » أما « الكوميديا » فهى أن الأستاذ يوسف وهبى معروف بظهوره فى الأدوار العنيفة وتمثيل الشخصيات الكبيرة ، فيخطب ويبطش ويكتسح ... وهذه الطبيعة متأصلة فيه ، ومما يدل عليها أنه لما جاء إلى الفرقة المصرية جعل يبحث فى محتوياتها حتى عثر على رواية (مركونة) كانت قد فازت فى مسابقة قديمة ، وهى رواية « سر الحاكم بأمر الله » فوافقت هواه ، إذ رأى فيها ما يوصله إلى القمة ... فطالما كان زعيما وعبقريا

ومصلحاً كبيراً ، ولكن كل ذلك كان في حدود « البشرية » أما في هذه الرواية فيمثل الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية ... وهكذا يصل الممثل الكبير إلى نهاية الخط ...

المشاكل الدولية :

كانت الإذاعة تقدم مساء الأحد من كل أسبوع ، الأستاذ محمد رفعت بك ، ليعقب على الشؤون الدولية في سلسلة أحاديثه « مصر تطل على العالم » وقد رؤى أخيراً أن يتناوب معه في الحديث عن هذه الشؤون الدكتور محمد عوض محمد بك أسبوعاً بعد أسبوع .

وقد بدأ الدكتور عوض بك يوم الأحد الماضي ، فتحدث عن المشاكل التي تشغل بال مصر وبال العالم في هذه الأيام ، فتناول أولا مسألة فلسطين من حيث غدر اليهود في الأسبوع الماضي بحشد قواتهم في الجنوب ومحاولة الهجوم على الجبهة المصرية ، فقال إنهم أرادوا بذلك أن يستولوا على جنوب فلسطين، فإن تم لهم ما أرادوا زحفوا شمالا . ولكن القوات المصرية أحبطت خطتهم وحطمت آمالهم فردتهم على أعقابهم خائبين مدحورين . وقال إننا نستخلص من ذلك أمرين ، الأول أن ما يهولون به من استعدادات اليهود وقوتهم ليس بشيء إزاء القوة العربية ، فقد جمعوا كل ما أمكنهم جمعه في هذه المعركة فلم يستطيعوا شيئاً . الأمر الثاني أن اليهود سيدأبون على الغدر فيجب أن نعمل حساب غدرهم في كل وقت ؛ وهم يعلمون أن هيئة الأمم المتحدة لن تستطيع أن تمنعهم ما دامت غير مستندة إلى قوة عسكرية ، والأمم الغربية لا ترضى أن تبعث إلى فلسطين بقوة عالية فيها روسيون .

ثم تحدث عن مشكلة برلين ، ومما قاله فيها إن الدول الغربية لما لم تستطع الاتفاق مع روسيا عرضت الأمر على مجلس الأمن ، ومعنى ذلك أن الدول الكبيرة عجزت عن التفاهم فاحتكمت إلى الدول الصغيرة . .

وبعد أن تحدث عن مشكلة إضراب العمال في فرنسا ، لم يفته في ختام الحديث أن يهنيء هيئة الأمم المتحدة بعيد ميلادها الثالث ويتمنى لها أطيب التمنيات ... وقد نطق هذه العبارات الأخيرة بنبرات صوت تدل أبلغ الدلالة على انصراف القلوب عن هذه الوليدة الكسيحة ..

مسابقة المجمع اللغوي الجديدة :

وافق مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسة يوم الاثنين الماضي — على نظام المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ الذي وضعته لجنة الأدب ، وتشمل هذه المسابقة البحوث الأدبية والقصة ، ولم يدخل فيها الشعر كما كان في مسابقات السنوات الماضية ، إذ رأت اللجنة إبعاده حتى يجد في آفاقه ألوان جديدة. وقد جعلت مسابقة القصة لجميع أدباء العرب ، وخص بالبحوث الأدبية أدباء وادي النيل ، وقد عدل هذا التعبير بعد أن كان « أدباء مصر والسودان » على أثر مناقشة طريفة قيل فيها إنه لا ينبغي أن يتوهم متوهم أن السودان قطر آخر منفصل عن مصر كما أن في شمول المسابقة لأدباء وادي النيل توكيداً لمعنى الوحدة ، وكان ذلك بمثابة تحية للعضو السوداني الزائر الذي حضر الجلسة وهو السيد عبد الله عبد الرحمن الأمين .

وقد خصصت للبحوث الأدبية ستمائة جنيه ، مائتان لكل بحث من البحوث الآتية :

١ — أحسن تحقيق لكتاب عربي قديم وضع على أساليب النثر الحديثة سواء طبع أم لم يطبع .

٢ — أحسن دراسة لرفاعة بك الطنطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد قدري باشا وأثر كل منهم في وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث في نقد الشعر العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى الآن ، ولا يدخل في ذلك نقد الشعراء الأحياء .

وخصص مائتا جنيه لقصة تدور حول أحد الموضوعات الآتية:

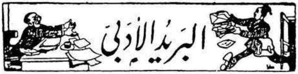
١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة في التاريخ .

وسيذيع المجمع بعد قليل بياناً للمسابقة يتضمن شروطها ومواعيد التقديم وما إلى ذلك .

عباس خضر



انت في واد وأنا في واد :

عاد الأستاذ أحمد عادل يرغبني بالإسلام ويحببني به بانتقاد الإنجيل ، ثم بتسفيه بعض أقوال المسيح ، ثم بالطعن بالنصرانية ثم بالتقريع بزعماء النصارى — ذلك في رسالة لي منه أشغلت ١٢ صفحة ، ومن أصعب الأمور قراءة خطها السقيم . وفي النبذة التي نشرتها « الرسالة » في قبل العدد الماضي أفهمته بالمقول وبالمفتوح أن ديني يمتاز على جميع أديان البشر بأنه يقال بكلمات معدودة : الله محبة ، وهو يأمرنا بأن نحب بعضنا بعضاً ، وأن نسامح بعضنا بعضاً ، وأن نغفر لمن أساء إلينا . هذا هو الدين الإنساني العملي الذي لو عمل به كل فرد من الأنام لما وجد من يضربك على خدك الأيمن لكي تحول له الأيسر ، ولا وجد من يسيء إليك لكي تسامحه وتغفر له ، ولو صار كل الناس من هـذا المبدأ وساروا عليه لانتفت الخصومات من العالم وتعطلت المحاكم وأقفلت دور الشرطة وانطفأت نيران الحروب .

هكذا أعتقد ، وهكذا أجتهد أن أسلك في هذا العالم المملوء آثاماً وشروراً ، فلو فهم الأستاذ جيداً هذا لما جمل يجادلني في الدين ، ولفهم أني لست نصرانياً ولا مسلماً ولا بوذياً ولا مجوسياً ؛ بل أنا مسيحي بحت ، وديني دين إنساني يصلح لكل أمة وكل قبيلة من الناس !

وليعلم الأستاذ أحمد أن الأناجيل لا تريه صورة خالية من الشوائب عن يسوع وحياته وتعاليمه .

وكنت أظن أني والأستاذ أحمد نعتقد عقيدة واحدة إذا جردنا الدين من الترهات والخرافات ، والمعتقدات المخالفة للمعقول فإذا هو في واد وأنا في واد ، فلا محل للجدال في الدين بيني وبينه وعسى أن تكون هـذه الكلمة مقنعة له ، وتغنيه عن تسويد الصفحات في دعوته لي إلى الإسلام .

أرجو أن يعلم بعض القراء عنواني إذا كانوا يجهلونه حتى لا يزعجوا إدارة مجلة الرسالة بتحويل رسائلهم إلى : ٢ شارع البورصة الجديدة . القاهرة

نقولا الحداد

حسين شفيق المصري :

(كتب أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في وصف هذا الصحفي القدير ، وكان قد كتب هذه الكلمة منذ ربع قرن يقرظ بها جريدته « الناس ») (المنصورة) محمود أبو رية

الأستاذ حسين شفيق المصري الذي يمتع الأمة بهذه الصحيفة (جريدة الناس) ماجن ظريف ، لو تقدم به الزمن لتهاداه الملوك والأمراء ، فقام على بساط منشداً ، وجلس على آخر نديماً ، وتقلب على ثالث مضحكا ، وعربد على رابع ، وجلد على خامس — ولعل الله أخره إلى دهرنا رحمة به أن يأمر أحد الملوك فيملأ فاه دراً بعد أن فرغ من إنشاده المعجب المطرب — ويشره هو إلى الثروة والغنى فيفتح فمه إلى أقصى الحلق فتدخل اللآلىء وتخرج الحياة .

وهذا الأديب في عصرنا إنما هو بقية فن من أبدع فنون الأدب ، كان لا ينبغ فيه إلا عقول معدودة لا تقصر في حكمة الكلام عن غاية ، ولا تتخلف في ظرف البلاغة عن شأو ، ولا تجيء بما تأتي به إلا على الأسلوب الذي يهز النفس من طرفيها ، كأن الله قد وهبها سر القدرة على ما يعسر وما يؤلم فلا تتناول معنى إلا أنشق لها عن فنون غريبة تهديها إلى ما فيه من الضحك الذي لا ينكشف إلا للنفس الشاعرة ، والتهكم الذي لا يظهر إلا للنفس الحكيمة ، والمزاج الذي لا يبدو لغير النفس الظريفة . وما الشعر والحكمة والظرف إلا أسرار ذلك الأسلوب النادر الذي لا ينقاد إلا لأعقل العقول متى أريد به استخراج المعاني المجنونة من الطرب .

فالبلاغة الظريفة الماضية التي بعضها من سياسة وخز الإبر ، وبعضها من سياسة الظهر والعصا … قلما تستجيب إلا للعقول المبتكرة التي خلقت متسلطة على النفوس من أقرب جهاتها ، وهذه العقول لا تسرف القوة الأزلية في خلقها ، بل هي حين ترحم الناس بها ، فتجعلها قليلة نادرة . وإنك لتجد أهنأ الضحك ذلك الذي ينفجر من القلب ولكنه إن طال انفجر القلب ، ولست أعرف تلك العقول إلا في كبار رجال السياسة الذين يدبرون أمر الممالك ، وفي كبار رجال الأدب الذين يدبرون أمر العواطف ، وفي كبار رجال الفلسفة الذين يدبرون كل شيء ولا يدبرون شيئاً ! ففي أي أولئك نعد (حسين شفيق) هذا الذي لو تألفت من رؤوس الأدباء صيدلية لطب الكلام لكان هو (دولاب السموم)

فيها . . لا نعرف من أمثال كاتبنا هذا في تاريخ الأدب على تقادم الزمن إلا قليلين يسمونهم أصحاب النوادر ، وقالوا إن المشهورين منهم : ابن أبي عتيق وأشعب وأبو الغصن وجحا وأبو العبر وأبو العنبس وابن الجصاص ومزيد المدني . وهم ثمانيـة ، فإذا توسعنا وأضفنا إليهم الشعراء الماجنين أبا الرقمعق وصريع الدلاء وأبا الحكم الجاهلي والأسطرلابي وابن حجاج ، فلا نكون قد زدنا في القليل إلا قليلا ، فإذا استقصينا بغاية الاستقصاء وعممنا علينا بأصحاب الأجوبة المسكتة كأبي العيناء ونظرائه ، فلا نزال حيث كنا . ولايذهبن عنك أننا لا نعد إلا المشهورين الذين أوتوا ملك النادرة لا بالرقاعة والحمق ، ولكن بالأدب والبلاغة والشعر والحكمة وتوجيه كل ذلك إلى الجهة الضاحكة السفرة من الحياة .

ثم إن لهذا الأديب بعد ذلك فضلا كثيراً على العربية إذ يمكن لها بين قرائه من العامة وهم الوف كثيرة ، وينشر الفكاهة بمقالاته القصيرة في أذواقهم وألسنتهم . ولا سبيل إلى إحيـاء العربية في هذا العصر إلا أن نجعل العامة أشبه بالعرب الملوحين لا ينكرون الفصيح ولا يأبونه لمكان طباعهم وإن كانوا لا يستطيعونه على وجهه لمكان ألسنتهم .

(لجريدة الناس) صحيفة من الصحف ولكنها مع ذلك ناموس اجتماعي عظيم دائب في ترقية الطباع والأذواق ، ولو أن لها من القراء عدد من عندنا من العامة لكان ذلك من فضل الله علينا وعلى (الناس) .

مصطفى صادق الرافعي

تعليق وتعقيب :

اطلعت في عدد « الرسالة » ٧٩٨ على ما كتبه الأستاذ الداغستاني عن (شعوب القوقاز) ، فرأيت أن أنقل كلمات في الموضوع من تعليق للعلامة العبقري الشيخ محمد زاهد الكوثري في (ترجمة دائرة المعارف الاسلامية) العدد ٩ ج ٦ ص ٣٤٥ :

إن الكتب المؤلفة في القوقاس والقوقاسيين إلى الآن غير كافية ولا شافية في الاطلاع على جلية أحوال تلك البلاد وأهلها لأن أمم جبل القوقاس كانوا أقوياء أشداء لا يسمحون للأجانب أن يطأوا أرضهم وديارهم ، ولا أن يتوغلوا خلالها بعلة إجراء بحوث علمية ، واستمر ذلك إلى سنة ١٩٢٧ هـ عام انهزامهم النهائي بعد حروب دامت نصف قرن ، ولم تمض منذ ذلك التاريخ مدة تتسع لبحوث شاملة عنهم ، ولا كان هناك حافز قوي يحمل الباحثين على تجشم المشاق في سبيل اجتلاء حقائق عن أمة باسلة قاربت حافة الفناء ، ولذا نجد كلام من يتحدث عنهم من الأجانب لا يعدو حد الحدس والتخمين إلا في الندرة . وليس بمستبعد أن يأتي يوم يغوص فيه الباحثون على ما يتعلق بذلك الجبل ، ولا سيما لهجات القبائل التي أنجبها مهد الجنس الأبيض القوقاسي المنتشر في بقاع الأرض ، حرصاً من هؤلاء الباحثين على تعرف صلة لغات أمم أوربة اليوم بلغات تلك القبائل القديمة .

والمعلومات الوثيقة عنهم هي ما في بطون الكتب المؤلفة في عهد الدولة الجركسية بمصر ، لأنها مستمدة من أبناء القوقاس مباشرة في ذلك العهد . ثم إن لبعض الباحثين من أهل تلك الجهات بعض مؤلفات عن الجبل وقبائله تنير كثيراً من أحوال القبائل . وأبناء القوقاسيين لها أدوار تجب دراسة كل دور منها بعناية خاصة ، منها ما قبل التاريخ الميلادي إلى أقدم عهد ، ثم من أول التاريخ الميلادي إلى الفتح الاسلامي في عهد الفاروق ، ثم القرون الاسلامية في العهدين الأموي والعباسي ، إلى استيلاء المغول على القوقاس ، ثم صلتهم بالدولة الأيوبية ، ثم تأسيسهم الدولتين البحرية والبرجية بمصر ، ثم صلتهم بالعثمانيين قبل استيلائهم على البلاد العربية وبعد استيلائهم عليها وصلاتهم بشتى الدول في القوقاس وغيره . وتلك مباحث متشعبة تتطلب جهوداً جبارة . ومما يجب على من يريد الإلمام بذلك أن لا يهمل المصادر الصينية وما كتبه مؤرخو الصين عن اللان والهون ، لأنه سبق للصينيين أن اتسعت رقعة حكمهم إلى الجهات الشرقية من بحر الخزر . وكذلك لا بد لمن يريد أن يعرف تاريخ القوقاسيين من الاطلاع على التواريخ القديمة التي ألفها مؤرخو بزانطة لأنها تشتمل على أخبار الأقوام الآسيوية القديمة الذين اجتازوا إلى أوربة عن شمال القوقاس أو جنوبه . وهؤلاء الزاحفون من الطريقين ما كانوا كلهم من عنصر واحد ولا كلهم أتوا من الشرق الأقصى أو من جهة الشمال ، بل كان للقوقاسيين الذين هم في طريقهم أثر مهم في توجيههم وقيادتهم حتى أصبحت أسماء قبائل المتزعمين على هؤلاء كأسماء لجميعهم ، وها هي اللانة من أسماء جبل القوقاس فيما حكاه ملطبرون وخونية قبيلة فرعية من القبائل الأربع للجراكسة ، والآوار قبيلة في الجبل يقطنون فيه منذ قديم محتفظين بسحنتهم الخاصة ولهجتهم الخاصة وهم وابير اخوان في عداد الآص .

محمد أسامة عليبة



الطـــالع

قصة للكاتب الانجليزى اندروز رو برتسمه

قال له وهو يعد له طعام إفطاره — هذه رسالة لك .

— أشكرك ولكن ما الذى أعددته لى هذا الصباح ؟

— كما ترى ، بعض الكميكات والبيض والخبز والشاى .

وجعل يتناول الطعام وهو يتساءل ، من الذى بعث بهذه الرسالة ؟ وتأمل الغلاف ، لقد حول إليه من محل إقامته السابق . من الذى يراسله فى هذه الساعة ؟ لعله أحد الدائنين يطالبه بما له من مال . أن مثل هؤلاء لا يتركون الإنسان فى راحة أبداً !

ولكنه كان قد عزم على ألا يفسد عليه شىء لذة تناوله الطعام لكم تحسن الطهى عن أيامه السابقة . وتذكر ، كان لا يعتقد أنه سيستسيغ هذا الطعام يوماً ما . ولكن ، كم كانت دهشته عندما وجد معدته قد تهيأت له واعتادت عليه .

وانتهى من طعامه ، فقرر أن يقرأ الرسالة . ففض الغلاف وقرأ :

« سيدى الفاضل — أبعث إليك بطالعك كما أردت . وقد اختصرت من المصطلحات الفلكية قدر استطاعتى ، وجعلت رسالتى قاصرة على مستقبلك .

« حقاً أنك رجل مجدود . ذلك ما أثبته طالعك . وأود أن أقول إنه قل أن أجد مستقبلاً باهراً بين من أكشف عن طالعهم مثل مستقبلك . فدعنى أهنئك تهنئة حارة .

إنى شديد الأسف لتأخرى فى الرد عليك . ولكن رسالتك كانت قد وصلتنى متأخرة ، ولعل ذلك يرجع إلى خطأ من البريد .

أخيراً دعنى أشكر الفرصة التى واتتنى لدراسة مستقبلك المخلص ... أستاذ علم العرافة . »

كان قد انتهى من شرب قدح الشاى ، فأشعل لفافة بعد أن قدم غيرها للآخر ، ثم جعل يقرأ طالعه وهو ينفث الدخان من صدره .

« أن تاريخ ميلادك وهو ، ٤ فبراير كما تقول فى رسالتك تدل على أنك من مواليد برج « الدلو » تحت علامة « حامل الماء » ، العلامة الحادية عشرة من منطقة الأبراج . وهى علامة تصاعدية ترمز إلى الجيل المقبل ، الجيل العظيم .

«وأهم ما يميز مواليد هذا البرج أنهم لا يبالون بالتقاليد ، بل كل همهم ينصب فى البحث عن الحقائق . ولذلك تجدهم يتحلون بشجاعة لا نظير لها ، وعقلية مرنة متزنة . ويميلون إلى العمل جماعة ، وفى اتحاد متين .

« وهم مثاليون فى علاقاتهم الغرامية ، أسخياء فى حبهم ، يجودون بكل شىء فى سبيل ذلك الحب .

« ومواليد هذا البرج يفضلون الأعمال الذهنية ويبرزون فى أعمال الجيش والحكومة . وهم معرضون للنقد ، ولكنهم يواجهونه فى شجاعة فائقة . »

« واكتفى من قراءة هذا القدر من الرسالة . ثم أعطاها إلى الآخر ، فألقى عليها نظرة ، وأخيراً أعادها إليه قائلا — إنها لا تفيدنى فى شىء ، فأنا من مواليد شهر يوليو .

وتناول منه الرسالة وعاود القراءة « لقد اجتزت حياتك الأولى فى مشقة . ويبدو أنك الآن فى مركز حرج . ولكنك سرعان ما ستتغلب على المصاعب ، وتبدأ فى طلب ما تتمناه من الحياة ...

« إنك تميل إلى الناحية العلمية . والعمل الجدى فى هذه الناحية سيولد لك العجائب . لقد سبق لك أن فكرت فى ذلك ، واهتممت بالمخترعات . إن النجوم تشير إلى أنك ستقوم باختراع ما ، يغير من مستقبلك . وستأتيك الثروة بعد أن تجتاز الكثير من الصعاب . وسيأخذ منك اختراعك بعض الوقت . ولكنك

ستصبر وتصبر لأنك تدرك بأنك ستصل حتماً إلى ذروة المجد . وعندما تعتقد أنك فقدت الأمل ويتملكك اليأس ينقلب كل شيء انقلاباً مفاجئاً في صالحك ، وعندئذ تقبل عليك الثروة ، ويأتيك الجاه .

لقد شقيت كثيراً في حياتك الأولى ، ولذلك ستحافظ على كل قرش تكسبه . وفي الحق ، فإن المال يجلب المال . وستهتم بالناحية الصناعية اهتماماً يؤدي بك إلى أن تصبح ملك الصناعة .

أما عن حياتك الخاصة ، فإن علامتك تدل على أنك في صحة جيدة . ولكنك في حاجة إلى الرياضة لتظل كما أنت . ولحسن الحظ يبدو أنك تقوم بذلك عن طريق التعود . ولكن يجب أن توجه عنايتك إلى عينيك وعنقك وقدميك والدورة الدموية في جسمك . وستنتابك بعض الأسقام وسرعان ما ستتغلب عليها . وهناك من الدلائل ما يشير على أنك ستعيش عمراً مديداً .

« وأما عن حياتك الغرامية فإن النجم يشير إلى أنك ستتزوج في خلال شهر يونيو ، وهو الشهر المفضل لك . أن حياتك الزوجية ستكون في مد وجزر ، ولكنها — على أية حال — ستغمرك بالسعادة . والنجوم تشير أيضاً إلى أنك ستكون رب عائلة وستنجب ذرية — أربعة من الأولاد — سيكون لها شأن كبير في الحياة . وستفتخر بك عائلتك ، وستعيش زوجك من بعدك ، ولكنك ستعيش حتى ترى ذريتك في أوج شبابها .

« وستسمع أثناء حياتك الطويلة عن حروب ولكنك لن تشترك وعائلتك فيها . وستتغير أحوال العالم الاقتصادية ولكنها لن تؤثر عليك .

« وعندما يحين الحين وتقابل باريك ، فالنجوم تبين أن نهايتك ستكون نهاية هادئة . أن كل الدلائل تشير إلى أنك ستموت أثناء نومك .

« وأخيراً دعني أهنئك تهنئة حارة بحسن طالعك »

وانتهت الرسالة ، وانتشرت على وجه قارئها ابتسامة فاترة . ثم أشعل لفافة أخرى ، وأخيراً ناول الآخر الرسالة قائلاً — ما رأيك في هذه الرسالة ؟

فقرأها ثم أجاب — أنها مسلية للغاية !!

* * *

وما أن انتهى من كلامه حتى سمعا صوت وقع أقدام تسير في الممر ، ثم فتح الباب ودلف منه حاكم السجن ورئيس حراسة والطبيب والكاهن . وخاطب صاحب الرسالة قائلاً — هل أنت على استعداد للقيام بنزهتك الأخيرة ؟

فأجابه وهو يرمقه بنظرة باردة عميقة من عينيه الزرقاوين — نعم ، إني على استعداد .

وسار وبجانبه حارسه الذي كان يلازمه في سجنه وقد أحاط بهما الركب حتى أدى بهما السير إلى فناء السجن في صباح يوم من شهر يونيو ، واقتربوا من تلك المنصة الخشبية التي أقيمت عليها ... المشنقة ! ؟

(الاسكندرية) **محمد فهمي عبد الوهاب**